مادَّة :

المذاهب والتيَّارات المعاصرة

بكالوريوس كليَّة القرآن الكريم والدِّراسات الإسلاميَّة - كليَّة الحديث الشريف والدِّراسات الإسلاميَّة

المستوى الثامن

شعبة (٢٢٠٧) قاعة (٢٠٣) كليَّة القرآن

شعبة (١٩٦٦) قاعة (٢٣٦) - شعبة (١٩٦٧) قاعة (٢٣٩) كليَّة الحديث

إعداد مدرِّس المادَّة :

أحمد بن فاروق بن أحمد القاسمي

العام الجامعي :

١٤٤٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله مِن شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مُضلَّ له، ومَن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١](١).

أمَّا بعد :

فإنَّ خيرَ الحديث كتاب الله، وخيرَ الهدي هدي محمد، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكُلَّ بدعةٍ ضلالةٌ(٢).

---

(١) – هذه خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يخطبها، ويُعلِّمها لأصحابه ﷺ – وقد أخرج الحديث أبو داود في «سُنَنِهِ» – كتاب النكاح – باب في خطبة النكاح – برقم : (٢١١٨)، والترمذي في «سُنَنِهِ» – أبواب النكاح عن رسول الله ﷺ – باب ما جاء في خطبة النكاح – برقم : (١١٣١)، والنسائي في «سُنَنِهِ» – كتاب الجمعة – باب كيفيَّة الخطبة – برقم : (١٤٠٤)، وابن ماجه في «سُنَنِهِ» – أبواب النكاح – باب خطبة النكاح – برقم : (١٨٩٢)، وأحمد في «مسنده» برقم : (٣٧٢٠)، والدَّارمي في «مسنده» – برقم : (٢٢٣١)، وقال عنه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ : حديث «صحيح» برقم : (٢١١٨) «صحيح سُنَنِ أبي داود» (٥٩١/١).

(٢) جزءٌ مِن حديثٍ أخرجه مسلم في «صحيحه» – كتاب الجمعة – باب تخفيف الصلاة والخطبة – برقم (٢٠٠٥) مِن حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

هذا جمعٌ لمادَّة (المذاهب والتيَّارات المعاصرة) بحسب فقرات المقرَّر لبكالوريوس كليَّة القرآن الكريم والدِّراسات الإسلاميَّة وكليَّة الحديث والدِّراسات الإسلاميَّة المستوى (الثامن).

أسأل الله ﷻ فيه التوفيق والسَّداد

إنه خير مسؤولٍ وأكرم مأمولٍ

مقدِّمة في المذاهب والتيَّارات المعاصرة

التعريف بالمذاهب والتيَّارات المعاصرة، وسبب تسميتها

أوَّلًا : تعريف المذاهب.

المذاهب جمع مذهبٍ؛ وهو ما يذهب إليه الشخص مِن مجموعة الآراء والأفكار التي يراها، أو يعتقدها حول عددٍ مِن القضايا سواءً كانت دِينيَّةً، أو سياسيَّةً، أو اجتماعيَّةً، أو سلوكيَّةً، أو اقتصاديَّةً، وقد تكون متوارثةً أو تقليدًا(١).

ومما ينبغي معرفته أنه لا يخلو إنسانٍ، أو مجتمعٍ مِن مذهبٍ يسير عليه بموجبه مهما كان اختلاف الدِّين، أو الحضارة، أو المجتمع، أو العقل(٢).

ثانيًا : تعريف التيَّارات.

التيَّارات جمع تيَّارٍ؛ وهي مجموعةٌ مِن الآراء والنظريَّات الفلسفيَّة الفكريَّة الوافدة، ارتبط بعضها ببعضٍ ارتباطًا منطقيًّا حتى صارت وحدةً متماسكةً متناسقةً(٣).

ثالثًا : المعاصِرة.

هي تلك المذاهب والتيَّارات الفكريَّة التي نشأت في هذا العصر الذي نعيش فيه، والمؤثِّرات التي تسوسه وتُسيِّره، وإن امتدَّت لأكثر مِن عدَّة أجيالٍ؛ لأنه عصرٌ تحكمه عوامل واحدةٌ في التأثير، ولا زالت تتجدَّد وتتحدَّث بحسب تمكُّنها ونفوذها في البلدان الإسلاميَّة(٤).

رابعًا : سبب تسميتها.

يرجع سبب تسميتها بالمذاهب والتيَّارات المعاصرة إلى تلك الأفكار والآراء التي لم

---

(١) انظر : «الوجيز في المذاهب الفكريَّة المعاصرة – عرض ونقد –» لأحمد الخلف (ص١١).

(٢) انظر : «المذاهب الفكريَّة المعاصرة ودورها في المجتمعات، وموقف المسلم منها» لغالب عواجي (٤١/١).

(٣) انظر : «التيَّارات الفكريَّة، المفهوم، مراحل النشأة، عوامل التطور، فقه المواجهة» لأحمد الإمام (ص١٤٣).

(٤) انظر : «الوجيز في المذاهب الفكريَّة المعاصرة – عرض ونقد –» لأحمد الخلف (ص١٣).

تستند إلى الوحي الإلهي، فهي ناتجةٌ عن فكرٍ ورأيٍ وتجربةٍ بشريَّةٍ قد تكون نتائجها صحيحةً وقد تكون خاطئةً في نفس الأمر، ولـمَّا كانت هذه المذاهب والتيَّارات لم تستند إلى الوحي الإلهي نُسبت إلى مؤسسيها؛ فقيل : المذهب الماركسي، أو التيَّار العلماني، أو المذهب الرَّأسمالي، أو التيَّار الليبرالي ... إلخ، ومِن هنا سُمِّيت هذه الأفكار والآراء بالمذاهب والتيَّارات بحسب اتجاهات وآراء كُلِّ طائفةٍ(١).

(١) انظر : «المذاهب الفكريَّة المعاصرة ودورها في المجتمعات، وموقف المسلم منها» لغالب عواجي (٤٢/١).

أسباب نشأة المذاهب والتيَّارات المعاصرة

أوَّلًا : نشأة المذاهب والتيَّارات المعاصرة.

نشأت المذاهب والتيَّارات المعاصرة في أوروبا في القرن الخامس عشر الميلادي وما بعده، وكان ذلك إثر ثوراتٍ وانقلاباتٍ عارمةٍ على كُلِّ الأوضاع والمعتقدات الدِّينيَّة؛ وكان ذلك نتيجة أحوالٍ تعيسةٍ أفرزتها عدَّة أسبابٍ مجتمعةٍ، أدَّت إلى ظهور مذاهب فكريَّة عديدة، وتيَّارات فلسفيَّة هدَّامة، مما جعل الكثير مِن سكَّان أوروبا ينقلب على العقائد والقِيَم والعادات والتقاليد، حتى بلغت ذروتها وضراوتها إلى نبذ الدِّين وإقصائه تمامًا عن ميادين الحياة، وعلى إثر ذلك ذهب بعضهم إلى سَنِّ القوانين، ووضع الدساتير لسد الفراغ الذي تعيشه أوروبا بعد ذلك الانقلاب(١).

ثانيًا : أسباب نشأة المذاهب والتيَّارات المعاصرة.

ترجع أسباب نشأة المذاهب والتيَّارات المعاصرة إلى عدَّة عوامل :

١ – الدِّين النصراني المحرَّف.

وهو ما أصاب الدِّيانة اليهوديَّة والنصرانيَّة مِن التحريف والتبديل، وانتشار الجهل والخرافات الجاهليَّة، ومِن ابتعادٍ عن الدِّين الصحيح، وكذلك اختلاط المفاهيم الفكريَّة الدِّينيَّة النصرانيَّة – الخرافيَّة أساسًا – وإظهارها بالمظهر الدِّيني مما كان له الأثر البالغ في تشجيع أصحاب الآراء الثائرة على الدِّين النصراني على اختراع الآراء المضادة له وإلصاقها بالدِّين في البداية، والتي نشأت في أشكال مذاهب ونظريَّاتٍ مختلفةٍ بعد انحراف الدِّيانة النصرانيَّة مِن الأساس، وقيامها على يد بولس (شاؤول) اليهودي الوثني،

---

(١) انظر : «المذاهب الفكريَّة المعاصرة ودورها في المجتمعات، وموقف المسلم منها» لغالب عواجي (١/٥٣-٥٤)، و«الوجيز في المذاهب الفكريَّة المعاصرة – عرض ونقد –» لأحمد الخلف (ص١٤).

الذي أقام النصرانيَّة على مفاهيم بشريَّةٍ وقوانين وضعيَّةٍ مملوءةٍ بالتناقضات والخرافات التي كانت محل ازدراء أصحاب العقول الناضجة وتبرُّمهم منها سواءً كانوا في الغرب، أو في الشرق بعد أن فقد النصارى إنجيل عيسى عليه السلام بعد رفعه على أنه لم يكن ظهور الخرافات وحدها هي التي أزعجت الأوروبيين فحسب، بل بحثوا عن حَلٍّ لتفسير قضاياهم ومشاكلهم اليوميَّة فلم يجدوها في هذا الدِّين المحرَّف، فأصبحوا بطبيعة الحال يبحثون عن مذاهب وآراء وأفكارٍ لتحل لهم مشاكلهم، ودخلوا في مرحلةٍ جديدةٍ ماسَّةٍ إلى اعتماد كُلِّ المذاهب والآراء والأفكار لسدِّ هذا الفراغ الذي خلَّفه الدِّين النصراني المحرَّف.

٢- عصر سلطة طغيان الكنيسة.

عاشت أوروبا عصر سلطة الكنيسة، وهي الفترة ما بين القرن الرَّابع عشر الميلادي إلى القرن الخامس عشر الميلادي المعروفة بـ «العصور الوسطى»، أو «العصور المظلمة»؛ وهي الحقبة التي هيمنت فيها الكنيسة ورجالها على جميع شؤون الحياة، وتكاد أن تكون سيادةً مطلقةً، وهذه السُّلطة قد برزت في القرون الوسطى حين كانت أوروبا تعاني مِن انتشار الجهل وسيطرة الخرافات بسبب سيطرة رجال الكنيسة، وشدَّة قبضتهم على أتباعهم إذ كانوا بمثابة الدولة الطاغية، فقرروا لأنفسهم صلاحيَّاتٍ لا حدود لها؛ صلاحيَّاتٍ دِينيَّةٍ وسياسيَّةٍ واجتماعيَّةٍ فوق ما يتصوره العقل، فلا حقَّ إلَّا ما قَّرره البابا وأعضاؤه، ولا باطل إلَّا ما أبطلوه، ولا حلال ولا حرام إلَّا ما جاء عنهم، والويل كُلُّ الويل لمن حاول الخروج عن قبضتهم في أي ناحيةٍ دِينيَّةٍ كانت أو دنيويَّة فإنه ينال عقابًا لا هوادة فيه، واتهامه بالهرطقة التي اخترعوها لتبرير جرائمهم بالمخالفين، وقد كانت هناك مظاهر عديدة لطغيان الكنيسة في أوروبا، منها ما يأتي :

أ- اختراعهم الأسماء التي يستحلُّون بها دماء مخالفيهم ومنها تسمية «الهرطقة»؛ وهي التي بمعنى الزندقة، أو المخالفة.

ب- هيمنتهم على كُلِّ شيءٍ دنيوي أو أخروي، حيث ربط رجال الكنيسة كُلَّ شيءٍ بأيديهم، فلا يُنال ما عند الله عزَّ وجلَّ إلَّا بإرضائهم وطاعتهم.

ج- فرضوا على الناس احترام وطاعة رجال الدِّين طاعةً عمياء قائمةً على الذل والخضوع المطلق والاستسلام، وعدم الاعتراض عليهم في أيِّ أمرٍ كان.

د- حرَّموا على أيِّ شخصٍ مهما كان ذكاؤه وعلمه، أن يجرؤ على قراءة، أو تفسير الكتاب المقدَّس ما لم يكن مِن أعضاء مجلس البابا.

هـ- أنشأوا فكرة «صكوك الغفران»، وجعلوها مِن أهم ما ينبغي أن يفكر فيه الشخص لمستقبل حياته الأخرويَّة، وهي في حقيقتها حيلةٌ لنهب أموال الناس بالباطل.

و- فرضوا على الناس نظام «السُّخرة والعشور»؛ وذلك بأن يعملوا في الأرض التي تملكها الكنيسة طوال الأسبوع بدون أجرٍ، وأن يدفعوا عُشر أموالهم هبةً لرجال الدِّين الذين أصبحوا يأكلون ولا يشبعون.

ز- أنشأوا «محاكم التفتيش» في حق العلم التجريبي والفكر الحُر، فكانت فكرة إنشاء محاكم التفتيش لمقاومة النظريَّات العلميَّة وكُلِّ مَن يخالفهم، فعاش رجال الفكر في خوفٍ شديدٍ، ولم يجرؤ الكثير منهم أن يعلن نظريَّاته واكتشافاته خوفًا مِن سلطة الكنيسة التي كانت لا ترحم أحدًا خالف ما قررته، وقد لقي كثيرون مصارعهم قتلًا وحرقًا وشنقًا وسجنًا مؤبَّدًا إلى الموت بسبب ما كانوا يعلنونه مِن اكتشافاتٍ، أو آراء علميَّةٍ قابلة للتجربة والبحث ويستحق صاحبها المكافأة إن كانت صادقة، أو عدم الاهتمام بها إذا كانت غير صحيحةٍ لكن حُكم الكنيسة كان مختلفًا ضد هذه الأفكار؛ لأنها تريد أن يكون الناس في جهلٍ حتى تتمكَّن مِن السيطرة عليهم.

٣- التأثر بالحضارة الإسلاميَّة.

كان مِن الأسباب التي أيقظت الأوروبيين مِن هذا الواقع المؤلم الذي يعيشونه في بلدانهم؛ هو اتصالهم عن طريق طلب العلم في البلدان الإسلاميَّة، واحتكاكهم كذلك بالمسلمين عن طريق التجارة، أو غير ذلك مِن الأسباب التي جعلتهم يطَّلعون على الأوضاع تحت ظل الإسلام، والأوضاع التي يعيشونها في ظل حُكَّامهم ورجال دِينهم، فوجدوا في الإسلام ما يخالف الكنيسة في كُلِّ كبيرةٍ وصغيرةٍ، ووجدوا فيه الحث على العلم والابتكار والمعرفة، وإقامة العدل والقسط بين الناس.

٤- الرجوع إلى التراث القديم (الفلسفة اليونانيَّة).

قام مفكِّرو الغرب مِن نبش الحضارات القديمة، وإحياء الفلسفات اليونانيَّة والاستفادة منها لقيام نظريَّاتٍ ومفاهيم سمَّوها جديدةً لإغراء الناس بها كالدِّيمقراطيَّة والعلمانيَّة والرَّأسماليَّة، وغيرها مِن الأفكار التي أرادوا أن يسدُّوا بها فراغ بُعدهم عن

الكنيسة.

٥- مكائد اليهود وحبكهم المؤامرات لإثارة الفتن في العالم.

حيث عمد اليهود لتغيير كل المفاهيم السائدة في ذلك الوقت، وتحطيم كُلِّ ما كان معاديًا لهم، والانتقام مِن كُلِّ مَن أسهم بأيِّ نوع مِن الأذىٰ في تاريخهم حتىٰ تم لهم ما كانوا يخططون له، فأقاموا الثورات التي تُسفك فيها الدماء، والثورات التي يُداس فيها الدِّين، وتنهار معها الأخلاق، وجميع النُّظُم التي كانت مخالفةً لليهود(١).

(١) انظر : «المذاهب الفكريَّة المعاصرة ودورها في المجتمعات، وموقف المسلم منها» لغالب عواجي (١/٥٣-٦٦)، و«الوجيز في المذاهب الفكريَّة المعاصرة - عرض ونقد -» لأحمد الخلف (ص١٥-٣١).

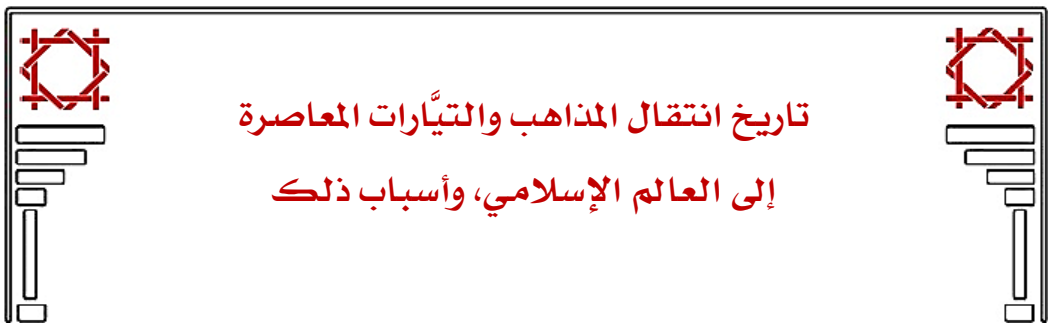

تاريخ انتقال المذاهب والتيَّارات المعاصرة إلى العالم الإسلامي، وأسباب ذلك

أوَّلًا : تاريخ انتقال المذاهب والتيَّارات المعاصرة إلى العالم الإسلامي.

انتقلت المذاهب والتيَّارات المعاصرة إلى العالم الإسلامي خلال القرن الثامن عشر الميلادي وحتى يومنا هذا، حيث كان يعيش العالم الإسلامي فترةً مِن الجهل والتردِّي في أغلب المجالات، وكان مِن الطبيعي أن يتأثَّر الضعيف بالقوي، لا سيَّما أنَّ أوروبا قد بلغت أوجها العلمي والفكري والصناعي، مما كان له أثرٌ كبيرٌ في انتقال هذه المذاهب الهدَّامة إلى العالم الإسلامي(١).

ثانيًا : أسباب انتقال المذاهب والتيَّارات المعاصرة إلى العالم الإسلامي.

هناك عدَّة أسبابٍ لانتقال المذاهب والتيَّارات المعاصرة إلى العالم الإسلامي، منها ما يأتي :

١- جهل المسلمين بدِينهم وما يحويه مِن مفاخر، وما يحويه مِن شموليَّةٍ كاملةٍ، حيث شهد الله ﷻ له بهذا في كتابه الكريم بقوله : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة:٣].

٢- جهل المسلمين بحقيقة ما تحمله تلك المذاهب الضالة مِن بؤسٍ وشقاءٍ، وأنهم تأثَّروا بها دون معرفةٍ لحقيقتها المخزية، وما تحمله مِن دمارٍ أخلاقيٍّ واقتصاديٍّ واجتماعيٍّ ودِينيٍّ، وكُلِّ شيءٍ يمتُّ إلى طريق الحقِّ والصراط المستقيم.

٣- رغبة بعض المسلمين في الانفلات والتحلل مِن كُلِّ القِيَم والأخلاق والعادات والفضائل الحسنة، ورغبتهم في العيش على الطريقة الغربيَّة، يعيشون كما تعيش البهائم، ويأكلون كما تأكل الأنعام دون أن يقف في طريقهم أي مانعٍ شرعيٍّ أو عُرفيٍّ.

---

(١) انظر : «الوجيز في المذاهب الفكريَّة المعاصرة - عرض ونقد -» لأحمد الخلف (ص٤٦).

٤- نشاط أعداء الإسلام، وقوة عزمهم على إفساد عقائد المسلمين، وإخراجهم مِن دِينهم بأنواع الدِّعايات والمغريات.

٥- بذل المساعدات الماليَّة وتحبيب الحياة الغربيَّة إلى قلوب المسلمين وتنفيرهم مِن حياتهم الإسلاميَّة، وبث الدِّعايات المغرضة ضد الإسلام وأهله قاطبةً، فقد صوَّروا لهم أنَّ الإسلام دِينٌ رجعيٌّ ومتخلِّفٌ ... إلخ.

٦- الهزيمة النفسيَّة التي أصابت المسلمين، وانبهارهم ببريق الحضارة الغربيَّة، ورغبة المغلوب في تقليد الغالب ومحاكاته لجبر ما يحسُّ به مِن ضعف الشخصيَّة أمامه.

٧- الضغوط الشديدة التي يتعرَّض لها ضعفة المسلمين باستمرارٍ في أكثر مِن بلدٍ إسلاميٍّ، وإملاء الكُفَّار لأفكارهم على تلك الشعوب لتقبلها راغبةً أو راهبةً.

٨- الاحتلال والغزو الصليبي على بلاد الإسلام كالحملات الفرنسيَّة على مِصر والشام في عام (١٧٩٨م)، حيث بدؤوا بغزو العالم الإسلامي دِينيًّا وفكريًّا وثقافيًّا واجتماعيًّا وسياسيًّا ... إلخ(١).

(١) انظر : «المذاهب الفكريَّة المعاصرة ودورها في المجتمعات، وموقف المسلم منها» لغالب عواجي (١/٦٧-٧٠).

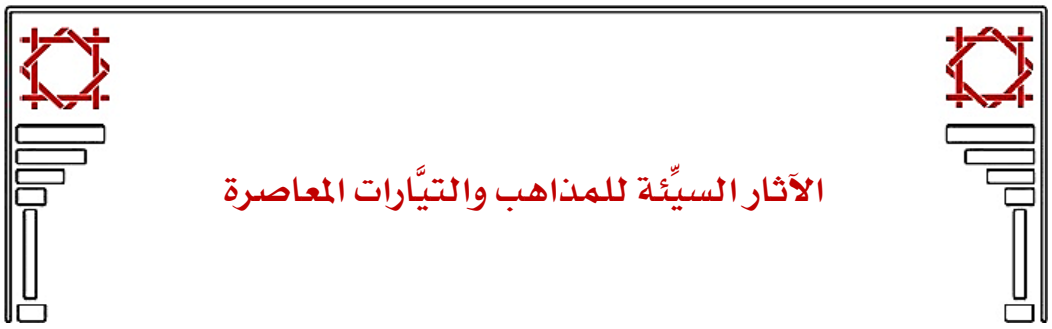

الآثار السيِّئة للمذاهب والتيَّارات المعاصرة

للمذاهب الفكريَّة والتيَّارات المعاصرة آثارها السيئة على الأُمم والمجتمعات والأفراد، وفيما يأتي بيانٌ لأبرز هذه الآثار السيئة :

١- عدم تطبيق الشريعة الإسلاميَّة.

إنَّ أكبر رزيَّةٍ حلَّت ببعض المجتمعات الإسلاميَّة هو إقصاء الشريعة الإسلاميَّة، أو التهاون في تطبيقها، أو الاحتيال لتمييع أحكامها عمدًا، أو تحت مبرراتٍ شخصيَّةٍ كثيرةٍ، ومِن العجيب أنهم يحكمون على الإسلام وهم لا يُحكِّمونه، ويتهجَّمون عليه وهم لا يعرفونه ولم يُجرِّبوه في حياتهم اليوميَّة!، إنهم متحيرون ضاقت صدورهم به مِن جرَّاء الضغوط المختلفة عليهم خارجيًّا وداخليًّا، والمسلمون الحقيقيون يطالبونهم بتطبيق الشريعة الإسلاميَّة، وأعداء الإسلام يطالبونهم بإقصائه وإحلال مذاهبهم المختلفة محله، هذا في الوقت الذي اضمحلَّت فيه شخصيَّاتهم التي كادت أن تنصهر في بوتقة الحضارات الجاهليَّة الشرقيَّة والغربيَّة.

٢- انتشار فساد الأخلاق والقِيَم.

لقد تمالأ الشرق والغرب كلهم بقيادة اليهوديَّة العالميَّة على إفساد أخلاق المسلمين، ونشر الرذائل بينهم بكُلِّ وسيلةٍ ممكنةٍ، وما أكثر تلك الوسائل التي دخلت كُلَّ بيتٍ - إلَّا مَن رحم الله ﷻ - امتلأت بها البيوت والأسواق والواجهات الإعلانيَّة، فلا ترى أمامك ولا عن يمينك ولا عن يسارك إلَّا دعوةً فاجرةً، وصورةً ماجنةً، وفحشًا ورذائل في تخطيطٍ دقيقٍ ممنهجٍ، ودعاياتٍ برَّاقةٍ، وزخرفٍ مِن القول غرورًا.

٣- التفكُّك الاجتماعي، والضعف الحاصل في أوضاع المسلمين.

إنَّ الواقع المرير الذي تعيشه الأُمَّة الإسلاميَّة اليوم مِن الذل والهوان والتمزق والانكسار أمام أعداء الإسلام ما هو إلَّا نتيجةٌ للتفكُّك المقيت الذي حَلَّ بالمسلمين نتيجة عدم قبضهم على دِينهم بجدٍّ وإخلاصٍ، وليس هذا فحسب بل قد ظهر هذا

التفكُّك في جوانب مختلفةٍ في حياة المسلمين، وهي كثيرةٌ يصعب حصرها منها اجتماعيَّةٌ واقتصاديَّةٌ وسياسيَّةٌ، والتي تظهر أنها مؤثرة جدًّا على مجرى الحياة العامَّة بين المسلمين.

٤- الفقر وكساد المعيشة.

إنَّ مِن الأمور البديهيَّة أنه ما حلَّت هذه المذاهب الفكريَّة الهدَّامة إلَّا وأتت بالفقر وكساد المعيشة في البلدان التي طُبِّقت فيها، كما قال ﷻ : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [سورة طه:١٢٤]، وهذا هو جزاء مَن أعرض عن تطبيق شرع الله ﷻ، وهذه هي سُنَّة الله ﷻ الكونيَّة فيمَن خالف أمره وكذَّب رُسُلَه عليهم السلام، كما قال ﷻ : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة إبراهيم:٢٨]، وقال ﷻ : ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [سورة النحل:١١٢]، فهذه المذاهب الهدَّامة شؤمٌ وبؤسٌ على أهلها، وجالبةٌ للفقر والمقت والغضب مِن الله ﷻ(١).

(١) انظر : «المذاهب الفكريَّة المعاصرة ودورها في المجتمعات، وموقف المسلم منها» لغالب عواجي (١/٧٠-٧٣).

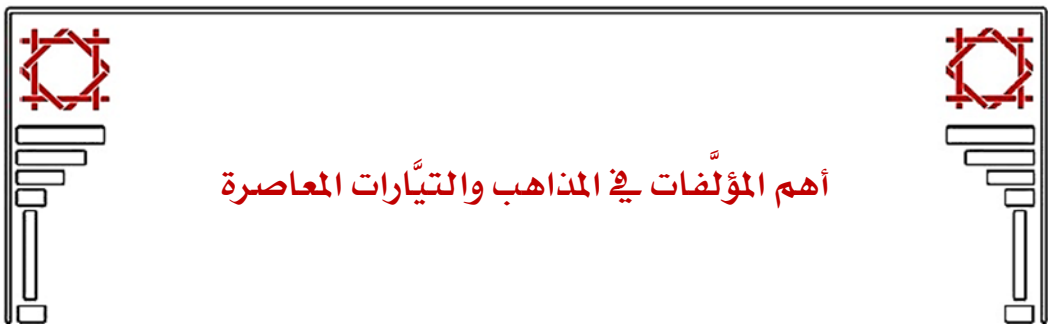

أهم المؤلَّفات في المذاهب والتيَّارات المعاصرة

هناك مؤلَّفاتٌ عديدةٌ أُلِّفت في بيان حقيقة وكشف وزيف هذه المذاهب الفكريَّة والتيَّارات المعاصرة الهدَّامة، منها ما يأتي :

١- «**اتجاهات هدَّامة في الفكر العربي المعاصر**» للدكتور / محمد محمد حسين.

٢- «**تيَّارات مسمومة واتجاهات هدَّامة**» للأستاذ / أنور الجندي.

٣- «**الاتجاهات الفكريَّة المعاصرة، وموقف المسلم منها**» للدكتور / جمعة الخولي.

٤- «**المذاهب المعاصرة، وموقف الإسلام منها**» للدكتور / عبد الرحمن عميرة.

٥- «**مذاهب فكريَّة معاصرة – عرض ونقد –**» للأستاذ الدكتور / محمود محمد مزروعة.

٦- «**المذاهب الفكريَّة المعاصرة ودورها في المجتمعات، وموقف المسلم منها**» للأستاذ الدكتور / غالب عواجي.

٧- «**دراسات في المذاهب والتيَّارات الفكريَّة المعاصرة**» للأستاذ الدكتور / ناصر بن عبد الله القفاري.

٨- «**الوجيز في المذاهب الفكريَّة المعاصرة – عرض ونقد –**» للدكتور / أحمد الخلف.

٩- «**دراسات في المذاهب الفكريَّة المعاصرة، نشأتها، منطلقاتها الفكريَّة**» للدكتور / أحمد علي عبد العال.

١٠- «**المختصر في المذاهب الفكريَّة المعاصرة**» للدكتور / عيسى السعدي.

وهناك العديد مِن المؤلَّفات يصعب حصرها، وهي متوفرةٌ في المكتبات وشبكات الإنترنت لِمَن أراد الرجوع إليها.

الغزو الفكري

مفهوم الغزو الفكري

❊ مفهوم الغزو الفكري :

هي الوسائل غير العسكريَّة التي اتخذها الغزو الصليبي لإزالة مظاهر الحياة الإسلاميَّة، وصرف المسلمين عن التمسك بالإسلام مما يتعلَّق بالعقيدة والشريعة، وما يتصل بها مِن أفكارٍ وتقاليد وأنماطٍ وسلوكٍ(١).

والغزو الفكري هو مجموعةٌ مِن الجهود التي يقوم بها الغرب للاستيلاء على أُمَّةٍ مِن الأُمم، أو التأثير عليها؛ حتى تتجه نحو وجهةٍ معيَّنةٍ، وهو أخطر مِن الغزو العسكري؛ لأنَّ الغزو الفكري ينحو إلى السِّريَّة، وسلوك المآرب الخفيَّة في بادئ الأمر، فلا تحس به الأُمَّة المغزوَّة، ولا تستعد لصدِّه والوقوف في وجهه، حتى تقع فريسةً له، وتكون نتيجته أنَّ هذه الأُمَّة تصبح مريضة الفكر والإحساس، تحب ما يريده لها عدوها أن تحبه، وتكره ما يريد منها أن تكرهه(٢).

وهذا الغزو يقع بواسطة المناهج الدِّراسيَّة والثقافيَّة العامَّة، ووسائل الإعلام، والمؤلَّفات الصغيرة والكبيرة، وغير ذلك مِن الشؤون التي تتصل بالأُمم، ويرجو العدو مِن ورائها صرفها عن عقيدتها، والتعلُّق بما يلقيه إليها(٣).

وهذا المصطلح ظهر في بداية القرن العشرين الميلادي بعد فشل الحروب الصليبيَّة، وعدم استطاعة الصليبيين السيطرة على المسلمين بالوسائل العسكريَّة، حتى نادى مفكِّروهم وقُوَّادهم إلى ضرورة استحداث أسلوبٍ آخر يكفل لهم تحقيق أهدافهم، فكان

---

(١) انظر : «تحصين المجتمع المسلم ضد الغزو الفكري» لحمود الرحيلي (ص٣٣٩).

(٢) انظر : المرجع السَّابق (ص٣٣٨).

(٣) انظر : «الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام» لعبد الستار فتح الله (ص٢١).

هذا الأسلوب المطلوب هو الغزو الفكري؛ إلَّا أنَّ الغزو الفكري موجودٌ منذ القِدَمِ، وفي العصر الحديث رأى أعداء المسلمين أنَّ الغزو العسكري يثير غضب الشعوب وحقدها وكرهها ومقاومتها، ففكَّروا في غزو عقول الشعوب، وتعبئتها بما يريدون مِن الثقافات التي تخدم العدو، والتي لا تتنبَّه لها الشعوب إلَّا بعد فوات الأوان(١).

(١) انظر : «تاريخ الغزو الفكري والتغريب» لأنور الجندي (ص١٣).

أهداف الغزو الفكري، ومظاهره ومجالاته

تتركَّز أهداف الغزو الفكري ومظاهره ومجالاته في غزو العالم الإسلامي في عدَّة أمورٍ، منها ما يأتي :

أوَّلًا : التشكيك في عقيدة المسلمين ومحاولة صرفهم عنها إلى النصرانيَّة.

وذلك أنَّ الغزاة قد أدركوا أنَّ المسلمين وإن كانوا في تشتتٍ وهوانٍ وضعفٍ وانكسارٍ إلَّا أنهم يمتلكون القوى المدَّخرة الإيمانيَّة التي لا تساويها قوَّةٌ أخرى في العالم؛ فهي القوة الوحيدة التي تستطيع أن تصمد في وجه الإلحاد والماديَّة والوثنيَّة والماسونيَّة، فإنَّ قوة العقيدة والإيمان الرَّاسخ في قلوب المسلمين، هي التي تدفع المسلم على الإقدام، وتمنعه مِن الإحجام، ثم إنهم لم يتمكَّنوا مِن مهاجمة عقائد المسلمين الرصينة المتينة بشكلٍ مباشرٍ وبطريقةٍ تلقائيَّةٍ؛ فاختاروا لها أساليب متعددة حتى يتمَّ لهم ما يريدون، فتارةً حاولوا إضعاف عقائدهم مِن حيث الأفكار المنحرفة والهدَّامة، وأحيانًا مِن خلال التشكيك في التراث الإسلامي وفي أصول العقيدة بحُججٍ واهيةٍ يبحثون عنها في هذا الكتاب أو ذاك، وأحيانًا مِن خلال ما يُسمَّى بحوار الأديان، وتجديد الخطاب الدِّيني وهكذا ... إلخ.

ثانيًا : التدخل الصريح في مناهج تعليم المسلمين.

قد استطاع الغرب أن يفرض مناهجه في التعليم، ويُجرِّدها مِن الرؤية الإسلاميَّة، وينفث سمومه البغيضة فيها، وهذا مِن أخطر الدَّسائس المودعة في التعليم؛ فإنَّ السيطرة على التعليم سيطرةٌ على مستقبل الأُمَّة، وتحكُّمٌ دقيقٌ في كافة ألوان النشاط البشري، وما دخل اليهود والنصارى بلدةً إلَّا وقد كانت ضربتهم الأولى نحو سياسة التعليم ونُظُمِهِ وتاريخه، فأحيانًا تقوم فئةٌ قليلةٌ تتَّهم المواد الدِّراسيَّة الإسلاميَّة بأنها لا تفي بكثيرٍ مِن الأشياء الواقعيَّة في عصرنا؛ بدعوى أنها كانت أساطير الأوَّلين، وقد اندرست بانقراضهم؛ فلا داعي إذًا إلى إقامة أي وزنٍ لهذه المواد، بل هي جديرةٌ وحَرِيَّةٌ بأن توضع

في آخر الجدول اليومي الدِّراسي حتى يعود إليها الدَّارسون وقد تعبوا ومَلُّوا مِن دراسة مواد أخرى، وأحيانًا يوجِّهون أصابع التهمة إلى مناهج المسلمين التربويَّة والثقافيَّة بأنها تتصف بالغموض والصعوبة، وأنَّ العلوم الأخرى كالاقتصاد، وعلم النفس، والاجتماع، والطب، والهندسة مِن أهم ما ينبغي التركيز عليها عند المسلمين، والاعتناء الجيد بها، ومِن ثَمَّ يبدأ البُعْدُ عن الإسلام شيئًا فشيئًا، ويصير الطالب مغرمًا بالغرب، متحمسًا لمُثُلِهِ وعاداته أكثر مِن تحمُّسه لأخلاق أُمَّته، ويتضح ذلك جليًّا من خلال ما قاله هالتون جُب : «لقد استطاع نشاطنا التعليمي والثقافي عن طريق المدارس العصريَّة والصحافة أن تترك في المسلمين أثرًا يجعلهم في مظهرهم العام لا دِينيين إلى حَدٍّ بعيدٍ»، وهكذا يدسُّون السُّمَّ في العسل، ويلبسون الباطل بالحق؛ لتغريب وإفساد التعليم والسيطرة عليه.

ثالثًا : الدَّعوة إلى الاختلاط بين الجنسيْن.

مِن دسائس التغريبيين أنهم لا يألون جُهْدًا في الجمع بين السمات البشريَّة، وإيقافهم على رصيفٍ واحدٍ دون أيِّ فَرْقٍ بين الذَّكر والأنثى، والطالب والطالبة، والطبيب والطبيبة، والمعلِّم والمعلِّمة، والله ﷻ يقول : ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [سورة آل عمران:٣٦]، فعمدوا إلى الدَّعوة إلى الاختلاط بين الجنسيْن الرجال والنساء في جميع الميادين العلميَّة والعمليَّة وجميع مجالات الحياة بهدف إيقاع المسلمين في الفاحشة، وإتيان ما حرَّم الله ﷻ.

رابعًا : خرق النسيج الاجتماعي وتغريبه.

حيث حاول التغريبيون أن يغرسوا في نفوس المسلمين ما شاءوا مِن قِيَمٍ وآدابٍ وعاداتٍ وأعرافٍ مخالفةٍ للقِيَم الإسلاميَّة والآداب القرآنيَّة، وكُلِّ فضيلةٍ دعت إليها الشريعة الإسلاميَّة، وفي هذا المجال كانت محاولتهم الأولى نحو إفساد المرأة وتغريبها وإبعادها عن منهج دِينها، فنادوا عبر وسائط إعلامهم بضرورة خلع حجابها، ثم زجُّوا بها في ميادين العمل، ومصارعة الحياة، ومزاحمة الرجال، فعملت صاغرةً ذليلةً عاملةً في الشركات والمصانع والمزارع، وخدمت الرجال في الفنادق وحتى في الحفلات الشعبيَّة فغنَّت لهم، ورقصت؛ لتقوم بدوراتها التمثيليَّة، ولتمتعهم بصوتها وجسمها وما حرَّم الله ﷻ عليها فعله، حتى عُدَّت سلعةً رخيصةً تُباع وتُشترى.

خامسًا : التحكُّم باقتصاد المسلمين.

مِن المعلوم أنَّ أكثر بلدان العالم الإسلامي تحتوي على موارد اقتصاديَّة، وهو ما جعل الغرب يتدخل في الشؤون الاقتصاديَّة الإسلاميَّة التي تؤول منافعها وأرباحها إلى إليهم؛ فحاولوا جاهدين الاستيلاء على هذه الموارد حتى يمتلكوا قلوب المسلمين إثر سيطرتهم على منافعهم، فإنَّ السيطرة على مصادر وموارد المسلمين مكَّنتهم مِن مخانق الاقتصاد والسياسة معًا كوسيلةٍ للتهديد والإفلاس وانهيار الاقتصاد الخاص والعام، وهو ما يؤثر على كيان الدول الإسلاميَّة ذاتها، وهو من ناحية أخرى سبيل للإغراء، تُستمال به الدول عن طريق القروض إبَّان الأزمات، والحاجة إلى تمويل الشركات الاقتصاديَّة، ومِن ثَمَّ يفرضون أجندتهم التغريبيَّة في المجتمعات الإسلاميَّة(١).

(١) انظر : «الغزو الفكري والتيَّارات المعادية للإسلام» لعلي عبد الحليم محمود (ص٦٠)، و«أساليب الغزو الفكري» لعلي محمد جريشة (ص٧٩).

وسائل الغزو الفكري وأدواته

هناك عدَّة وسائل وأدواتٍ للغزو الفكري اتخذها في حربه على العالم الإسلامي، منها ما يأتي :

١- محاولة الاستيلاء على عقول أبناء المسلمين، وترسيخ المفاهيم الغربيَّة فيها؛ لتعتقد أنَّ الطريقة الفُضلى هي طريقة الغرب في كُلِّ شيءٍ، سواءً فيما يعتقده مِن الأديان والنِّحل، أو ما يتكلَّم به مِن اللغات، أو ما يتحلَّى به مِن الأخلاق، أو ما هو عليه مِن عاداتٍ وطرائق.

٢- الرعاية لطائفةٍ كبيرةٍ مِن أبناء المسلمين في كُلِّ بلدٍ، والعناية بهم وتربيتهم، حتى إذا ما تشرَّبوا الأفكار الغربيَّة وعادوا إلى بلادهم، أحاطوهم بهالةٍ عظيمةٍ مِن المدح والثناء حتى يتسلَّموا المناصب والقيادات في بلدانهم؛ وبذلك يُروِّجون الأفكار الغربيَّة ويبنون المؤسسات التعليميَّة المسايرة للمنهج الغربي أو الخاضعة له.

٣- تنشيط تعليم اللغات الغربيَّة في البلدان الإسلاميَّة، وجعلها تزاحم لغة المسلمين، وخاصَّةً اللغة العربيَّة لغة القرآن الكريم التي أنزل الله ﷻ بها كتابه، والتي يتعبَّد بها المسلمون لربهم ﷻ في الصلاة والحج والأذكار وغيرها، ومِن ذلك تشجيع الدَّعوات الهدَّامة التي تحارب اللغة العربيَّة، وتحاول إضعاف التمسك بها في ديار الإسلام في الدَّعوة إلى العاميَّة، وقيام الدِّراسات الكثيرة التي يراد بها تطوير النحو وإفساده، وتمجيد ما يسمونه بالأدب الشعبي والتراث القومي.

٤- إنشاء الجامعات والمدارس الغربيَّة، ودُور الحضانة، ورياض الأطفال، والمستشفيات والمستوصفات في بلاد المسلمين، وجعلها أوكارًا لأغراض التغريب السيئة، وتشجيع الدراسة فيها عند الطبقة العالية مِن أبناء المجتمع، ومساعدتهم بعد ذلك على تسلم المراكز القياديَّة والوظائف الكبيرة، حتى يكونوا عونًا لأساتذتهم في تحقيق مآربهم في بلاد المسلمين.

٥- السيطرة على مناهج التعليم في بلاد المسلمين ورسم سياستها، إمَّا بطريقٍ مباشرٍ كما حصل في بعض بلاد الإسلام، أو بطريقٍ غير مباشرٍ عندما يؤدي المهمة نفسها تلاميذ ناجحون ممن درسوا في مدارس الغرب وتخرَّجوا منها، فأصبح معظمهم معول هدمٍ في بلاده، وسلاحًا فتَّاكًا مِن أسلحة العدو، يعمل جاهدًا على توجيه التعليم توجيهًا علمانيًّا لا يرتكز على الإيمان بالله ﷻ والتصديق برسوله ﷺ، وإنما يسير نحو الإلحاد، ويدعو إلى الفساد.

٦- قيام طوائف كبيرةٍ مِن النصارى واليهود بدراسة الإسلام واللغة العربيَّة، وتأليف الكتب، وتولِّي كراسي التدريس في الجامعات، حتى أحدث هؤلاء فتنةً فكريَّةً كبيرةً بين المثقفين مِن أبناء الإسلام بالشُّبَه التي يُلقِّنونها لطلبتهم، أو التي تمتلئ بها كتبهم وتُروَّج في بلاد المسلمين، حتى أصبح بعض تلك الكتب مراجع يرجع إليها بعض الكاتبين والباحثين في الأمور الفكريَّة أو التاريخيَّة، ولقد تخرَّج على يد هؤلاء المستشرقين مِن أبناء المسلمين رجالٌ قاموا بنصيبٍ كبيرٍ في إحداث الفتنة الكبرى، وساعدهم على ذلك ما يحاطون به مِن الثناء والإعجاب، وما يتولَّونه مِن مناصب هامَّةٍ في التعليم والتوجيه والقيادة، فأكملوا ما بدأه أساتذتهم، وحققوا ما عجزوا عنه؛ لكونهم مِن أبناء المسلمين ومِن جلدتهم، وينتسبون إليهم، ويتكلَّمون بلسانهم.

٧- الدَّعوة إلى إفساد المجتمع المسلم، وتزهيد المرأة في وظيفتها في الحياة، وجعلها تتجاوز الحدود التي حدَّها الله ﷻ لها، وجعل سعادتها في الوقوف عندها؛ وذلك حينما يُلقون بين المسلمين الدَّعوات بأساليب شتَّى وطرقٍ متعدِّدةٍ إلى أن تختلط النساء بالرجال، وإلى أن تشتغل النساء بأعمال الرجال، ويقصدون مِن ذلك إفساد المجتمع المسلم والقضاء على الطُّهر والعفاف والحشمة الذي يوجد فيه، وإقامة قضايا وهميَّةٍ ودعاوى باطلةٍ في أنَّ المرأة في المجتمع المسلم قد ظُلمت، وأنَّ لها الحق في كذا وكذا، ويريدون إخراجها مِن بيتها وإيصالها إلى حيث يريدون، في حين أنَّ حدود الله ﷻ واضحةٌ، وأوامره صريحةٌ، وسُنَّة رسول الله ﷺ جليَّةٌ بيِّنةٌ، يقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾ [سورة الأحزاب:٥٩]، ويقول ﷻ: ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ

بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ﴾ [سورة النور:٣١]، ويقول ﷻ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾ [سورة الأحزاب:٥٣]، ويقول ﷻ : ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ﴾ [سورة الأحزاب:٣٣]، ويقول ﷺ : «إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قَالَ : «الْحَمْوُ الْمَوْتُ»(١)، وقال ﷺ : «لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ»(٢).

٨- إنشاء الكنائس والمعابد وتكثيرها في بلاد المسلمين، وصرف الأموال الكثيرة عليها، وتزيينها، وجعلها بارزةً واضحةً في أحسن الأماكن وفي أكبر الميادين.

٩- تخصيص إذاعاتٍ موجَّهةٍ تدعو إلى النصرانيَّة والشيوعيَّة، وتشيد بأهدافها، وتُضلِّل بأفكارها أبناء المسلمين السُّذَّج الذين لم يفهموا الإسلام، ولم تكن لهم تربيةٌ كافيةٌ علميَّةٌ، حيث يصاحب هذا الإكثار مِن طبع الأناجيل وتوزيعها في الفنادق وغيرها، وإرسال النشرات التبشيريَّة والدَّعوات الباطلة إلى الكثير مِن أبناء المسلمين.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» - كتاب النكاح - باب لا يخلوَن رجلٌ بامرأةٍ إلَّا ذو محرمٍ والدخول على المغيبة - برقم : (٥٢٣٢)، ومسلم في «صحيحه» - كتاب السَّلام - باب تحريم الخلوة بالأجنبيَّة والدخول عليها - برقم : (٢١٧٢) مِن حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» - كتاب النكاح - باب لا يخلوَن رجلٌ بامرأةٍ إلَّا ذو محرمٍ والدخول على المغيبة - برقم : (٥٢٣٣)، ومسلم في «صحيحه» - كتاب الحج - باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره - برقم : (١٣٤١) مِن حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

١٠- ابتعاث أكبر قَدْرٍ ممكن مِن شباب المسلمين وأبنائهم إلى ديار الغرب؛ ليستلهموا ثقافته المسمومة هناك، ويعودوا إلى بلادهم وقد ودَّعوا هناك دِينهم ومبادءهم وأخلاقهم.

١١- نشر الكتب العابثة المضلِّلة التي تشغل الشباب عن ثقافتهم الأصيلة، وتلهيهم بالعبث والخيال الماجن الذي سيجرُّهم إلى المجون والجنون، ونشر المجلَّات الخليعة الفاحشة التي تشغل الشباب في تفكير إشباع غرائزهم عن التفكير في مستقبل أُمَّتهم ومصالح دِينهم وحُريَّة أوطانهم.

١٢- السعي الدؤوب والحثيث لإفساد عقول المسلمين مِن تعاطي شرب الخمور والمسكرات، والمواد المخدِّرة حتى يصبح المسلم فارغًا مِن أيِّ معنًى للرجولة والبطولة.

١٣- إنشاء المذاهب والمبادئ الهدَّامة؛ كالبهائيَّة والقاديانيَّة وإشغال المسلمين بها، وإخراجهم مِن دِينهم بواسطتها.

١٤- العمل على إلغاء المحاكم الشرعيَّة في ديار المسلمين، واستئصالها مِن جذورها؛ حتى يضطر المسلمون عند رفع قضاياهم إلى مَن يخالفهم في دِينهم(١).

(١) انظر : «الإسلام والدَّعوات الهدَّامة» لأنور الجندي (ص١٠٤-١١١).

آثار الغزو الفكري وخطورته

للعزو الفكري آثاره الخطيرة والمدمِّرة على حياة الشعوب والمجتمعات الإسلاميَّة، منها ما يأتي :

١- ظهور العلمانيَّة التي تعتمد أساسًا على فصل الدِّين عن السياسة والحُكم وجميع مجالات الحياة.

٢- زعزعة التماسك بين المسلمين وبث فكرة العصبيَّات الجاهليَّة، وتجزئة الوطن الإسلامي، وإثارة النعرات والخلافات بين دُوله.

٣- رفع الشعارات البرَّاقة والخدَّاعة تحت اسم الحضارة والتقدُّم، والتي تدعو إلى هجر الأخلاق والفضائل الحميدة، والابتعاد عن الدِّين واعتناق أفكارٍ ومبادئ منافيةٍ للإسلام.

٤- التركيز الكُلِّي على تحرير المرأة المسلمة، وظهور الحركات النسائية؛ حيث تتهم هذه الحركات الهدَّامة بأنَّ الدِّين الإسلامي مضطهدٌ للمرأة.

٥- ظهور إعلامٍ فاقد للهُويَّة الإسلاميَّة ينصاع خلف الثقافات الغربيَّة مِن خلال بث البرامج الهابطة التي تهوي بالشباب المسلم إلى الأسفل.

٦- انقياد الأفراد وراء شهواتهم وانحرافهم عن الطريق المستقيم، مما يتسبَّب في تخريب المجتمعات الإسلاميَّة.

٧- الانحلال الأخلاقي تحت مسمَّى التحضُّر والمدنيَّة، واستباحة ما هو محرَّمٌ كالخمر والزنا والربا والقمار ... إلخ.

٨- توهين الرَّوابط الاجتماعيَّة بين الأُسر المسلمة وتفكُّكها، وقطع الأواصر العائليَّة وتشتيتها.

٩- التقاعس عن أداء العبادات؛ كأداء الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة، وغير ذلك مِن أنواع القربات إلى الله ﷻ(١).

(١) انظر : «أثر الغزو الفكري على الأُسرة المسلمة، وكيفيَّة مقاومته» لمحمد هلال (ص١٣٤-١٧٩)، و«الغزو الفكري والتيَّارات المعادية للإسلام» لعلي عبد الحليم محمود (ص٧١-٧٤).

سُبُل مواجهة الغزو الفكري

هناك عدَّة طُرُقٍ وسُبُلٍ لمواجهة الغزو الفكري، وصدِّ وردِّ هجماته عن العالم الإسلامي، منها ما يأتي :

١- سلامة المعتقد مِن الانحرافات والخرافات، كأن يكون المسلم على العقيدة الصحيحة المبنيَّة على الكتاب والسُّنَّة وفهم سلف الأُمَّة.

٢- التوعية الإسلاميَّة الصحيحة؛ وذلك بنشر محاسن وفضائل الإسلام، وإعلاء روح الاعتزاز به، وتربية الأُمَّة وإرجاعها إلى دِينها.

٣- الاعتصام بالله ﷻ والرجوع إليه والإنابة له والاستعانة به، والاستمساك بهدي رسوله ﷺ ونشر سيرته التي فيها الخير والنور لجميع البشريَّة.

٤- بيان خطر الغزو الفكري على الأُمَّة الإسلاميَّة، وأنه اتجاهٌ هدَّامٌ يهدف إلى سلخ الأُمَّة مِن هُويَّتها وعقيدتها، وإزالة الشبهات التي يلقيها هذا الغزو في أفكار الأُمَّة الإسلاميَّة.

٥- استخدام الوسائل المتاحة مِن وسائل إعلاميَّةٍ وصحافيَّةٍ لمواجهة هذا الطوفان الجارف مِن الغزو الفكري(١).

(١) انظر : «تاريخ الغزو الفكري والتغريب» لأنور الجندي (ص١٦-١٧)، و«أثر الغزو الفكري على الأُسرة المسلمة، وكيفيَّة مقاومته» لمحمد هلال (ص٣٤٧-٣٦٣).

الاستشراق والتنصير

تعريف الاستشراق، ونشأته، وأشهر رجاله، وأهدافه

أوَّلًا : تعريف الاستشراق.

هو دراساتٌ أكاديميَّةٌ يقوم بها غربيون مِن اليهود والنصارى بوجهٍ خاصٍّ للإسلام والمسلمين مِن شتَّى الجوانب؛ عقيدةً، وشريعةً، وثقافةً، وحضارةً، وتاريخًا بهدف تشويه الإسلام، ومحاولة تشكيك المسلمين فيه وتضليلهم عنه، وفرض التبعيَّة للغرب عليهم، ومحاولة تسويغ هذه التبعيَّة بدراساتٍ ونظريَّاتٍ تدَّعي العلميَّة والموضوعيَّة، وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب النصراني على الشرق الإسلامي(١).

والمستشرقون هم أدمغة الحملات الصليبيَّة الحديثة وجواسيسها، وشياطين الغزو الثقافي للعالم الإسلامي، ظهروا في حلبة الصراع في فترةٍ كان المسلمون فيها يعانون مِن الإفلاس الحضاري، والخواء الرُّوحي، وفقدان الذات والهُويَّة؛ مما جعل الفرصة سانحةً لأولئك الأحبار والرهبان، وجنود الصليبيين الموتورين كي يثأروا لهزائمهم الماضية، وينفثوا أحقادهم الدَّفينة. والمستشرقون يلتقون مع المبشِّرين المنصِّرين في الأهداف؛ فكُلُّهم يهدف إلى إدخال المسلمين في النصرانيَّة، أو رد المسلمين عن دِينهم، أو تشكيكهم في عقيدتهم، كما أنَّ مِن أهدافهم وقف انتشار الإسلام(٢).

ثانيًا : نشأة الاستشراق.

نشأ الاستشراق بوجهه الجديد في القرن الثامن عشر الميلادي، حيث أُنشئت المدارس النظاميَّة، وعُقدت المؤتمرات، وفُتحت المراكز والبعثات والجمعيَّات والمعاهد، وكان هذا بعد انتهاء الحروب الصليبيَّة، ولا جدال في أنَّ النصارى وقفوا ضد الإسلام

---

(١) انظر : «رسائل في الأديان والفِرَق والمذاهب» لمحمد الحمد (ص١٧١).

(٢) انظر : المرجع السَّابق (ص١٧٢).

مِن أوَّل ظهوره، وكُلُّ رجال الكنيسة مِن الباباوات وزعماء الدول الغربيَّة ينظرون بحقدٍ شديدٍ إلى انتشار الإسلام وقوة المسلمين، حيث رأوا أخيرًا أنه لا يمكن وقف المدِّ الإسلامي إلَّا بغزوه فكريًّا وعقديًّا مع إبداء الصداقة للمسلمين في الوقت الذي يبذلون فيه غاية جهودهم لمقاومة الإسلام، والتصدي للمسلمين؛ لإطفاء نور الإسلام، وقد ظلَّ هذا التوجُّه للنصارى قائمًا في شكل صراعٍ محتدمٍ على طول تاريخ الغرب النصراني والشيوعي على حدٍّ سواءٍ، حيث أدَّى ذلك إلى اختلاف العلماء في تحديد ظهور الاستشراق أوَّل مرَّةٍ؛ ولكنه بالتأكيد كان بعد قيام الحروب الصليبية والهزائم التي أُلحقت بالنصارى(١).

ثالثًا : أشهر رجال الاستشراق.

١- ألكسندر بارانوف (١٧٤٦-١٨١٩م).

هو مستشرقٌ روسيٌّ، درس اللغات التركيَّة والفارسيَّة والعربيَّة في معهد لازاريف، ودرَّس العربيَّة في المعهد نفسه، وعمل أستاذ كرسي في المعهد الشرقي بموسكو، وأنشأ مدرسة المستعربين اللغويَّة، وانتخُب رئيسًا لمعهد العلوم الشرقيَّة، وشارك في إعداد كتاب لتعليم اللغة العربيَّة، وألَّف القاموس (الروسي - العربي) للمصطلحات السياسيَّة والاقتصاديَّة والفلسفيَّة.

٢- بول كازانوفا (١٨٧٩-١٩٢٦م).

هو مستشرقٌ فرنسيٌّ، وُلد في باريس وتعلَّم اللغة العربيَّة في معهد فرنسا، ثم عمل أستاذًا لفقه اللغة، كما اهتمَّ بدراسة تاريخ مِصر الإسلامية، مِن أبرز آثاره تحقيق كتاب «الخطط والآثار» للمقريزي، وله كتابٌ بعنوان «محمد وانتهاء العالم في عقيدة الإسلام».

٣- إغناطيوس جويدي (١٨٤٤-١٩٣٥م).

هو مستشرقٌ إيطاليٌّ، وُلد في إيطاليا، وتعلَّم اللغة العربيَّة في جامعة روما، وتولَّى تدريس اللغة العربيَّة فيها، وقد دعته الجامعة المصريَّة لتدريس الأدب العربي فيها، وله العديد مِن البحوث في اللغة العربيَّة وآدابها.

---

(١) انظر : «الموسوعة الميسَّرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» (٦٩٧/١).

٤- جوزف شاخت (١٩٠٢-١٩٦٩م).

هو مستشرقٌ ألمانيٌّ، درس اللغات الشرقيَّة، وانتدب للعمل في الجامعة المصريَّة عام (١٩٣٤م)؛ لتدريس مادة فقه اللغة العربيَّة واللغة السريانية، وشارك في هيئة تحرير «دائرة المعارف الإسلاميَّة» في طبعتها الثانية، وعُرف شاخت باهتمامه بالفقه الإسلامي؛ ولكنه صاحب إنتاجٍ في مجال المخطوطات، وفي علم الكلام، وفي تاريخ العلوم والفلسفة.

٥- مونتجمري وات (١٩٠٩-٢٠٠٦م).

هو مستشرقٌ إنجليزيٌّ، وُلد في بريطانيا، ووالده القسيس أندرو وات، عمل راعيًا لعدَّة كنائس في لندن وفي إدنبره، وكان متخصصًا في الدِّراسات الإسلاميَّة(١).

(١) انظر : «الموسوعة الميسَّرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» (٦٩٩/١).

وسائل الاستشراق المعاصر، ومراكزه

أوَّلًا : وسائل الاستشراق.

اتخذ المستشرقون عدَّة وسائل في نشر الاستشراق في العالم الإسلامي، منها ما يأتي :

١- التحقيق والنشر، وإصدار الكتب.

حرص المستشرقون منذ بدايتهم على نشر الكتب التي تتناول الإسلام مِن جميع جوانبه؛ عقيدةً وشريعةً وتاريخًا وسيرةً، وتناولت هذه الكتب الأحوال الاجتماعيَّة في العالم الإسلامي في مختلف العصور.

٢- إصدار المجلَّات الخاصَّة ببحوثهم عن المجتمعات الإسلاميَّة.

ذهب المستشرقون إلى إصدار الكثير مِن المجلَّات التي لها تعلُّقٌ بالمجتمعات الإسلاميَّة، منها على سبيل المثال : الجامعات الآتية التي لها مجلَّاتٌ ودوريَّاتٌ مشهورةٌ مثل : «مجلة العالم الإسلامي» الصادرة مِن معهد هارتفورد اللاهوتي بالولايات المتحدة الأمريكيَّة.

٣- إنشاء «موسوعة دائرة المعارف الإسلاميَّة» بعدَّة لُغاتٍ.

سعى المستشرقون إلى إنتاج أكبر موسوعةٍ علميَّةٍ استشراقيَّةٍ مِن قِبَلِ مجموعةٍ كبيرةٍ مِن المؤلِّفين المستشرقين مِن جنسيَّاتٍ أوروبيَّةٍ مختلفة بهدف تشويه تاريخ وتشريعات الدِّين الإسلامي.

٤- إلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيَّات العلميَّة.

دأب المستشرقون منذ بداية عهدهم بالدِّراسات العربيَّة والإسلاميَّة على الاتصال ببعضهم البعض عن طريق المراسلات والرحلات إلى التبادل العلمي والثقافي، فكانت الندوات المحليَّة والإقليميَّة ثم الدوليَّة وسيلةً مِن وسائل الصلة بين المستشرقين ببعضهم البعض في إلقاء المحاضرات في الجامعات وغيرها.

٥- إنشاء الجمعيَّات.

ذهب المستشرقون إلى إنشاء الجمعيَّات مثل : جمعيَّة «المستشرقين الفرنسيين»، الذين أصدروا المجلة الآسيويَّة، وجمعيَّة «المستشرقين الإنجليز» الذين أصدروا مجلة الجمعيَّة الآسيويَّة الملكيَّة، و«جمعيَّة المستشرقين الأمريكيين»، الذين أصدروا مجلة الجمعيَّة الشرقيَّة الأمريكيَّة، وكذلك فعل المستشرقون في كُلِّ بلدٍ مِن بلدان العالم الإسلامي.

٦- إنشاء أقسام علميَّة في الجامعات.

حرص المستشرقون إلى فتح الأقسام العلميَّة الاستشراقيَّة التي تُعنى بدراسة العالم الإسلامي، ومِن أبرز هذه الجامعات التي فُتحت فيها أقسام علميَّة استشراقيَّة : الجامعة الأمريكيَّة التي أصبح لها العديد مِن الفروع في القاهرة وفي بيروت وفي دبي وفي الشارقة وفي إسطنبول وغيرها.

ثانيًا : مراكز الاستشراق.

حرص المستشرقون على إنشاء مراكز للدراسات العربيَّة والإسلاميَّة في العالم الإسلامي؛ لتكون أقرب إلى هذه البلاد، ويستخدمها الطلاب والباحثون الغربيون كمراكز للبحث والدِّراسة وتعلم اللغات الإسلاميَّة، ونشر الثقافة الغربيَّة، وقد بدأ المستشرقون في إنشاء هذه المراكز منذ القرن التاسع عشر الميلادي، وفيما يأتي ذكرٌ لبعض هذه المراكز المنتشرة في العالم الإسلامي :

١- المراكز الاستشراقيَّة الفرنسيَّة في العالم الإسلامي :

- المعهد الفرنسي للآثار الشرقيَّة في القاهرة تأسس عام (١٨٨٠م).
- المعهد الفرنسي في دمشق تأسس عام (١٩٣٠م).
- معهد الدِّراسات المغربيَّة في الرباط تأسس عام (١٩٣١م).
- معهد الدِّراسات العليا في تونس تأسس عام (١٩٤٥م).

٢- المراكز الاستشراقيَّة البريطانيَّة في العالم الإسلامي :

-كُليَّة فورت وليام بكلكتا في الهند تأسست عام (١٨٣٦م).
-كليَّة دلهي في الهند تأسست عام (١٨٩٧م).
-كليَّة الملكة فيكتوريا كوليدج في مِصر تأسست عام (١٩٠٢م).
- مركز الدِّراسات العربيَّة في الشرق الأوسط في لبنان تأسس عام (١٩٤٨م).

٣- المراكز الاستشراقيَّة الأمريكيَّة في العالم الإسلامي :

- الجامعة الأمريكيَّة في بيروت بلبنان تأسست عام (١٨٦٦م).
- مدرسة الدِّراسات الشرقيَّة الأمريكيَّة في القدس بفلسطين تأسست عام (١٩٠٠م).
- الجامعة الأمريكيَّة في القاهرة بمصر تأسست عام (١٩١٩م).
- جامعة الشرق الأوسط في إسطنبول بتركيا تأسست عام (١٩٥٦م).
- المدرسة الأمريكيَّة للأبحاث الشرقيَّة في بغداد بالعراق تأسست عام (١٩٦١م).
- معهد الدِّراسات اليمنيَّة في صنعاء باليمن تأسس عام (١٩٦٦م)[١].

(١) انظر : «الاستشراق والخلفيَّة الفكريَّة للصراع الحضاري» لمحمود حمدي زقزوق (ص٦٢-٦٥)، و«آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلاميَّة» لمحمد خليفة حسن (ص١٠١-١٢٢).

نماذج مِن افتراءات المستشرقين، والرَّد عليهم

هناك افتراءاتٌ كثيرةٌ روَّجها المستشرقون بقصد تشويه الإسلام والطعن فيه، وفيما يأتي بيانٌ لبعض هذه الافتراءات والرَّد عليها :

الفرية الأولى : تعرُّض الرَّسول ﷺ لقوافل قريش.

صرَّح المستشرق الإنجليزي اليهودي دافيد صمويل مرجليوث في كتابه «محمد وظهور الإسلام» في (ص٣٦٨) بقوله : «عاش محمدٌ هذه السنين الست بعد هجرته إلى المدينة على التلصُّص والسَّلب والنهب، ... وهذا يُفسِّر لنا تلك الشهوة التي أثَّرت على نفس محمدٍ، والتي دفعته إلى شنِّ غاراتٍ متتابعةٍ، كما سيطرت على نفس الإسكندر مِن قَبْلُ ونابليون مِن بَعْدُ».

❋ الرَّد على هذه الفرية :

إنَّ تعرض الرَّسول ﷺ والمسلمين لقوافل قريش قبل غزوة بدرٍ إنما كانت هي أموال المسلمين أنفسهم التي تركوها في مكة بعد طول تعذيبٍ وتنكيلٍ، وتركوا معها الأهل والولد والوطن، وهاجروا إلى المدينة عُزَّلًا لا يملكون مِن قوت يومهم شيئًا؛ وذلك فرارًا بدِينهم، وطلبًا لمكانٍ يعبدون فيه ربهم ﷻ دون أن يتعرَّض لهم أحدٌ، وقد قامت قريشٌ بالاستيلاء على جميع ممتلكات المهاجرين ﭫ، واستباحت ديارهم وأموالهم، وليس أدل على ذلك مِن تجريدهم لأموال صهيب الرومي ﭬ. ولمَّا تم استقرار المسلمين في المدينة واستتبَّ لهم الأمر، أَذِنَ الله ﷻ لهم بقتال مَن ظلمهم وبغى عليهم، فأُعلنت الحرب على قريشٍ ورجالاتها منذ تلك اللحظة، ومعلومٌ أنَّ الحروب تأخذ أشكالًا عديدةً، ويأتي في مقدِّمتها ما يُسمى بلغة عصرنا : «الحرب الاقتصاديَّة»، فتعرُّض المسلمين لقوافل قريش كنوعٍ مِن الحروب الاقتصاديَّة عليها، وكسرًا لشوكتها وغرورها، ورغبةً في استرداد بعضٍ مِن حقوقهم المسلوبة، وأموالهم المنهوبة التي تركوها قبل هجرتهم إلى المدينة النبويَّة.

الفرية الثانية : زعمهم أنَّ الوسط الوثني مصدرٌ مِن مصادر القرآن الكريم.

ادَّعى المستشرقون أنَّ تأليف القرآن الكريم مأخوذٌ مِن المحيط الوثني الذي كان يعيش فيه النبي ﷺ، فمِن ذلك قولهم :

أ- أنَّ محمدًا ﷺ استقى معلوماته التي وضعها في القرآن الكريم مِن البيئة التي عاش فيها بين الفصحاء والبلغاء مِن قومه.

ب- أنَّ التشابه الموجود بين مقاطع مِن الشعر الجاهلي وبعض الآيات القرآنيَّة؛ حيث زعموا أنَّ محمدًا ﷺ استقاها مِن وسطه الوثني ووضعها في القرآن الكريم.

*** الرَّد على هذه الفرية :**

إنَّ القرآن الكريم هو كلام الله ﷻ المنزَّل على عبده ورسوله محمدٍ ﷺ، وقد نفى الله ﷻ أن يكون النبي ﷺ قد تعلَّم تحت يد أحدٍ مِن الناس، أو نقل أخبار مَن قبله مِن الأُمم السَّابقة كما قال ﷻ : ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥﴾ [سورة الفرقان:٥]. ونفى عنه ﷻ أن يكون يعرف القراءة والكتابة، أو قرأ التوراة والإنجيل فقال : ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ۝٤٨﴾ [سورة العنكبوت:٤٨]. وقد تحدَّاهم الله ﷻ وهم أهل الفصاحة والبلاغة بأن يأتوا بسورةٍ مِن مثله فقال : ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٢٣﴾ [سورة البقرة:٢٣]، وقوله ﷻ :﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٣٨﴾ [سورة يونس:٣٨]، وتحدَّاهم بأن يأتوا بعشر سورٍ مثله فقال ﷻ :﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝١٣﴾ [سورة هود:١٣]، وتحدَّى الله ﷻ الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن وما استطاعوا فقال : ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ۝٨٨﴾ [سورة الإسراء:٨٨]. وقد نفى الله ﷻ أن يكون هذا القرآن أخذه النبي ﷺ مِن بشرٍ فقال : ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ

يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ [سورة النحل:١٠٣](١).

(١) انظر : «ردود على شبهات المستشرقين» ليحيى مراد (ص٢٤١-٣٣٥).

مفهوم التنصير، وصلته بالاستعمار، وعلاقته بالاستشراق

أوَّلًا : مفهوم التنصير.

التنصير هو حركةٌ دِينيَّةٌ سياسيَّةٌ استعماريَّةٌ، بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبيَّة بُغية نشر النصرانيَّة بين الأُمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامَّة، وبين المسلمين بخاصَّة، بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب(١).

ثانيًا : صلة التنصير بالاستعمار.

العلاقة بين التنصير والاستعمار هي علاقة ترابطٍ وتكاملٍ فهما وجهان لعملةٍ واحدةٍ، فكُلُّ واحدٍ منهما مكمِّلٌ للآخر :

- فالتنصير هو الواجهة الدِّينيَّة للمستعمر.
- والاستعمار هو الواجهة الاقتصاديَّة والسياسيَّة للمنصِّرين.

فالتنصير كحركةٍ استعماريَّةٍ احتلاليَّةٍ تستهدف نشر النصرانيَّة بين شعوب العالم، وخاصَّة شعوب العالم الثالث، وبالخصوص الدول الإسلاميَّة الإفريقيَّة والآسيويَّة؛ وذلك استكمالًا لمشروع الحروب الصليبيَّة الصهيونيَّة، مستغلين في ذلك الفقر والجوع والمرض والجهل والبطالة والاستبداد والظلم للتغلغل في وسط المجتمعات وخاصَّةً المتخلِّفة منها، معتمدين في ذلك على وسائل الإعلام التقليديَّة مِن كتبٍ ومطبوعاتٍ وإعلامٍ سمعيٍّ وبصريٍّ إلى جانب الأعمال الاجتماعيَّة والإنسانيَّة والخدماتيَّة، فالتنصير ما هو إلَّا غزْوٌ دِينيٌّ وفكريٌّ وثقافيٌّ واجتماعيٌّ هدفه استقطاب وصهر المستهدفين في الثقافات الغربيَّة مِن أجل وضع نخبةٍ تَدين بالولاء للمستعمر والتبعيَّة الاقتصاديَّة والثقافيَّة والوصاية السياسيَّة له.

---

(١) انظر : «الموسوعة الميسَّرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» (٦٦٥/٢).

ثالثًا : علاقة التنصير بالاستشراق.

العلاقة بين الاستشراق والتنصير علاقةٌ وثيقةٌ وفي غاية المتانة؛ ذلك أنَّ الاستشراق هو الرَّافد الآخر للتنصير، وكلاهما ينبعثان مِن الكنيسة، فهم قساوسةٌ جميعًا، ويخدمون الكنيسة على حدٍّ سواءٍ، وتتركَّز مهمة الجميع في هدم الإسلام، أو تشكيك أهله فيه، وتشويه تاريخ الأُمَّة الإسلاميَّة ونبيِّها الكريم ﷺ، وجعل العالم الإسلامي مناطق نفوذٍ للغرب، وقد تختلف الوسائل بين المنصِّرين والمستشرقين؛ ولكنها في النهاية تصبُّ في مكانٍ واحدٍ، وفيما يأتي بيانٌ للعلاقة بين التنصير والاستشراق :

١- أنَّ التنصير والاستشراق دعامتان مِن دعائم قيام الاستعمار في البلاد التي يغزونها، ويمهِّدونها لاستقبال المستعمرين.

٢- أنَّ التنصير والاستشراق كلاهما يسيران حسب خطةٍ مرسومةٍ، فالتنصير مهمته اجتذاب الناس عن طريق الدَّعوة المباشرة، وتحبيب النصرانيَّة إلى القلوب بكل وسيلةٍ يستطيعونها، والاستشراق مهمته اجتذاب الناس عن طريق العلم والتعليم والبحث والمعرفة(١).

(١) انظر : «المستشرقون والمبشِّرون في العالم العربي والإسلامي» لإبراهيم خليل أحمد (ص١٦١-١٦٢).

تاريخ التنصير، وأهدافه

أوَّلًا : تاريخ التنصير.

نشأ التنصير منذ القرن الخامس عشر الميلادي، أثناء الاكتشافات البرتغاليَّة، وحينها دخل المبشِّرون الكاثوليك إلى إفريقيا، وبعد ذلك بكثيرٍ أخذت ترد الإرساليَّات التبشيريَّة البروتستانتيَّة إنجليزيَّةً وألمانيَّةً وفرنسيَّةً على دول العالم الإسلامي.

وكان ريمون لول : هو أوَّل نصراني تولَّى التبشير بعد فشل الحروب الصليبيَّة في مهمتها؛ إذ إنه قد تعلَّم اللغة العربيَّة بكُلِّ مشقةٍ، وأخذ يجول في بلاد الشام مناقشًا علماء المسلمين(١).

ثانيًا : أهداف التنصير.

١- الحيلولة دون دخول النصارى في الإسلام، والحيلولة دون دخول الأُمم الأخرى غير النصرانيَّة في الإسلام، والوقوف أمام انتشاره.

٢- القضاء على الإسلام في نفوس المسلمين، وتحويلهم إلى مُسخٍ آدميَّةٍ لا تحمل مِن الإسلام إلَّا اسمه؛ لذلك كانت المهمة الأولى التي قامت مِن أجلها حركة التنصير هي القضاء على مصدر القوة الأساسيَّة التي يعتمد عليها المسلمون، ألَا وهي العقيدة الإسلاميَّة.

٣- القضاء على وحدة العالم الإسلامي في جميع الدول الإسلاميَّة التي كانت وراء انتصارهم على الغرب.

٤- معاونة الاستعمار الغربي والتجسس على العالم الإسلامي بنقل الأخبار والتقارير اليوميَّة عن المسلمين.

---

(١) انظر : «الموسوعة الميسَّرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» (٦٦٥/٢).

٥- الربح المادي والكسب التجاري؛ وذلك ببيع المنتجات الغربيَّة وترويجها في بلاد الإسلام(١).

(١) انظر : «حقائق ووثائق عن مؤامرة التنصير في العالم الإسلامي» لعبد الودود شلبي (ص١٣-١٤).

وسائل التنصير المعاصرة، ومراكزه

أوَّلًا : وسائل التنصير.

للتنصير وسائله المتنوعة والكثيرة التي اجتاح وغزا بها العالم الإسلامي، منها على سبيل المثال ما يأتي :

١ – التعليم.

اهتم المنصِّرون بإنشاء المدارس والجامعات، واهتموا بتعليم الصغار أيَّما اهتمامٍ، واتخذوه وسيلةً لخدمة أغراضهم وأطماعهم، ووظَّفوا لذلك المعلِّمين مِن المنصِّرين الذين نفرت مِن قلوبهم الأمانة والاستقامة والصدق.

٢ – التطبيب.

عمل المنصِّرون على فتح المستشفيات والمراكز الصحيَّة مِن أجل الوصول إلى غايتهم الخبيثة التي تكمن خلف هذا العمل النبيل وهي التنصير؛ فهم يجوبون البلاد بهذا الهدف الخبيث مستغلِّين حاجة الناس إلى التطبيب والتداوي.

٣ – الإغاثة.

نشط المنصِّرون بزيارة البلاد المنكوبة مِن الكوارث والفيضانات والزلازل والحرائق؛ وعمدوا على نشر التنصير فيها مستغلِّين هذه المعونات الإغاثيَّة لتنصير المسلمين.

٤ – أعياد الكريسماس.

استغل المنصِّرون نشر ملابس بابا نويل في أعياد الكريسماس، وإبرازه في صورة الجَدِّ الحنون الذي يُعطي الهدايا والعطايا للأطفال الصغار بهدف تنشئتهم على حب النصرانيَّة منذ الصغر.

ثانيًا : مراكز التنصير.

هناك عدَّة مراكز استغلَّها المنصِّرون لنشر أهدافهم الخبيثة في بلاد المسلمين، منها ما يأتي :

١- معهد زويمر للدِّراسات الإسلاميَّة.

وهو معهدٌ يعمل على تزويد الكنائس بالدِّراسات والبحوث والمعلومات الخاصة بالمسلمين في المناطق التي تحتاج إلى نشاطٍ تنصيري، ويقوم المعهد بجمع المعلومات وإرسالها إلى المحتل الصليبي.

٢- منظمة دائرة تنصير الشعوب.

وهي منظَّمةٌ تُشرف على (٥٨) ألف مدرسةٍ و(٢٦) ألف معهدٍ وجامعةٍ في مختلف الدول الإسلاميَّة.

٣- معهد يونتيفيكو للدِّراسات العربيَّة.

وهو معهدٌ تُشرف عليه الكنيسة الكاثوليكيَّة في روما، وأنشئ هذا المعهد ليكون أداةً مِن أدواتها في سعيها نحو تنصير المسلمين، ومِن ثَمَّ يهتم المعهد بتوفير جميع الدِّراسات التي تتعلَّق بالإسلام، والتي تصلح كقاعدةٍ للمعلومات اللازمة للحوار النصراني الإسلامي، وإلى جانب ذلك فإنَّ مهمة المعهد تمتد أيضًا إلى إعداد دعاةٍ للكتاب المقدَّس يعملون بين المسلمين، وليس مجرد خبراء في اللغة العربيَّة والدِّراسات الإسلاميَّة.

٤- معهد الآداب العربيَّة.

وهو معهدٌ ترعاه جمعية «الآباء البيض الكاثوليك» في تونس، ويقوم بإجراء الدِّراسات والبحوث، وتوفير المواد والمعلومات الخاصَّة بالمشكلات والموضوعات الثقافيَّة والاجتماعيَّة للعالم الإسلامي، وأمَّا هدف المعهد مِن ذلك فهو إعداد المتخصصين المتمكنين في اللغة العربيَّة والإسلاميَّات، وتزويدهم بخلفيَّةٍ ثقافيَّةٍ عامَّةٍ في كُلِّ ما يهم العالم العربي والإسلامي.

٥- معهد الشرق الأدنى للاهوت.

وهو معهدٌ ترعاه عدَّة طوائف نصرانيَّة، ومقرُّه في لبنان، وقد أنشئ هذا المعهد لمساعدة النصارى في الشرق الأوسط، ويضم ستة أقسامٍ، مِن بينها قسم الإسلاميَّات، أمَّا برنامجه الدِّراسي فيشتمل على تعليم وتدريس اللغة العربيَّة والإسلاميَّات، ويُصدر المعهد الكثير مِن المطبوعات والدِّراسات عن الإسلام، إلى جانب إصدار دوريَّة المجلة اللاهوتيَّة.

٦- المركز النصراني للدِّراسات.

وهو معهدٌ تُشرف عليه عدَّة طوائف نصرانيَّة، ومقرُّه في راولبندي بباكستان، وقد أنشئ لمساعدة الكنيسة في نشر تعاليم الإنجيل، كما يُعنى بإجراء الدِّراسات والبحوث في العقيدتيْن الإسلاميَّة والنصرانيَّة، والدَّعوة إلى التقارب بين الإسلام والنصرانيَّة، ويضم المركز مكتبةً ضخمةً تضم عددًا هائلًا مِن المراجع والدِّراسات الإسلاميَّة، كما يقوم بتنظيم المحاضرات والحلقات الدِّراسيَّة والبرامج التدريبيَّة، ويُصدر الكثير مِن المطبوعات.

٥- الجامعة الأمريكيَّة.

وهي جامعاتٌ منتشرةٌ في كثيرٍ مِن بلدان العالم الإسلامي؛ في مِصر والشام والمغرب والخليج العربي، وتهدف هذه الجامعة إلى نشر تعاليم النصرانيَّة والإلحاد والاستشراق(١).

(١) انظر : «أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير - الاستشراق - الاستعمار) - دراسة وتحليل وتوجيه -» لعبد الرحمن الميداني (ص٥٩-١٠٥).

طرق مواجهة التنصير المعاصر

هناك طُرُقٌ كثيرةٌ لمواجهة الغزو والمد التنصيري المعاصر في العالم الإسلامي، منها ما يأتي :

١- اليقظة لنشاطات المنصِّرين، وتكثيف المراقبة عليهم بشتى الوسائل وتبليغ العلماء والمشايخ المختصين بكُلِّ ما يُكتشف في ذلك أو يُرتاب في أمره.

٢- توسيع نشاط الدَّعوة إلى الله ﷻ في أوساط النصارى مِن المقيمين في بلاد الإسلام وغيرهم.

٣- نشر العلم الصحيح بين المسلمين وتوعيتهم بأمر دِينهم عقيدةً وأحكامًا وأخلاقًا؛ وذلك لحمايتهم مِن التأثُّر بالآخرين، فإنه ليس بمكانٍ للوثات المنصِّرين إلى القلوب السليمة والعقول المنيرة، وإنما يكون خطرهم على الجهال؛ ولذلك ينبغي ترتيب أمر توعية المسلمين ونشر الدَّعوة الصحيحة فيما بينهم في كُلِّ مكانٍ.

٤- المساعدة في قيام مؤسساتٍ طبيَّةٍ خيريَّةٍ إسلاميَّةٍ تستثمر جهود الأطباء وتقتطع مِن وقت فراغهم ولو شيئًا يسيرًا لتطبيب المسلمين في كُلِّ مكانٍ، ويصاحب ذلك جهدٌ دعوي لعودتهم إلى الله ﷻ، ودعوتهم إلى التوبة مِن الذنوب والمعاصي والآثام، فإنَّ دور الطبيب المسلم يجب أن يقوم حتى ولو كان دورًا فرديًّا لا يجوز أن ننتظر قيام تلك المؤسسات مع أنها يجب أن تقوم، وإنما ينبغي أن يقوم الطبيب المسلم بدوره حتى ولو كان دوره جهدًا فرديًّا، ما هو الذي يمنع الطبيب المسلم مِن أن يقضي إجازته السنويَّة في إحدى البلاد الإسلاميَّة يعالج المرضى، ويعطيهم مع جرعة الدواء كلمةً طيبةً، ودعوةً إلى الله ﷻ، وتذكيرًا بوجوب طاعته، وتحذيرًا مِن معصيته، وبيانًا لخطر اليهود والنصارى على المسلمين.

٥- إيجاد مواقع على الإنترنت ومنتدياتٍ خاصَّةٍ بدراسة موضوع التنصير ومتابعته وإعداد الدِّراسات والتقارير بشأنه، وحفظ الوثائق المتعلقة به وإصدار النشرات الدَّوريَّة

التي تلاحق كُلَّ جديدٍ في هذا المجال، ويمكن لهذه المواقع أو المنتديات أن تتولى أمر الدَّعوة إلى قيام مؤتمرٍ إسلامي عالمي عامٍّ يناقش موضوع التنصير، ويكون دوريًّا سنويًّا أو كُلَّ أربع أو خمس سنواتٍ يناقش موضوع التنصير مِن جميع جوانبه، وتُقدَّم فيه الدِّراسات والبحوث والاقتراحات.

٦- العناية الخاصة بالمسلمين الجُدد فإننا نجد النصارى يعتنون كثيرًا بالنصارى الجُدد، ويشعرون الداخل حديثًا بالدِّين، حيث إنه يشعر بغربةٍ لابد مِن إزالتها، فلا بد أن نحتضنه ونعلِّمه ونتلطف معه بحُسن الخلق وندعوه إلى الله ﷻ، ونؤلِّف قلبه على الخير ونعمل على الاتصال به بالهديَّة، وبالكلمة الطيبة، وبالزيارة، وبالدَّعوة والعزيمة، ومحاولة تعميق الإسلام في قلبه.

٧- تحصين الشباب المسلم المسافر إلى الخارج مِن مخاطر التنصير سواءً كانوا مسافرين للدِّراسة أو العمل أو غير ذلك.

٨- التحذير مِن التيَّارات العلمانيَّة والتيَّارات الحداثيَّة التي هي في حقيقتها الوجه الفكري والأدبي للتنصير، أو على أقل التقدير هي إحدى الحلفاء التاريخيين للنصرانيَّة، وإذا كان النصارى يتحالفون مع الجميع فإنَّ أفضل حليفٍ لهم هم العلمانيون الذين فقدوا الغيرة الدِّينيَّة والنخوة الإسلاميَّة، والحداثيون الذين يدعون إلى التغيير الدائم المستمر، وعلى أقل الأحوال فإنَّ هناك عدوًّا مشتركًا للنصارى وللعلمانيين وللحداثيين هو الإسلام، وهم يجتمعون في مواجهة الخطر المشترك.

٩- العناية بالمناطق النائية كالقرى ومثلها الدول البعيدة عن مراكز العلم، وينبغي أن يكون هناك دورٌ في إصلاح المسلمين وتوعيتهم(١).

(١) انظر : «التبشير والاستعمار في البلاد العربيَّة» لمصطفى خالدي وعمر فروخ (ص٩٣-١١٣).

التغريب

تعريف التغريب، ونشأته، وأهدافه

أوَّلًا : تعريف التغريب.

هو تيَّارٌ فكريٌّ كبيرٌ ذو أبعادٍ دِينيَّةٍ وسياسيَّةٍ واجتماعيَّةٍ وثقافيَّةٍ وفنيَّةٍ، يرمي إلى صبغ حياة الأُمم بعامَّةٍ، والمسلمين بخاصَّةٍ بالأسلوب الغربي؛ وذلك بهدف إلغاء شخصيَّتهم المستقلَّة، وخصائصهم المتفردة، وجعلهم أسرى التبعيَّة الكاملة للحضارة الغربيَّة(١).

فالتغريب تيَّارٌ مشبوهٌ يهدف إلى نقض عُرى الإسلام، والتحلُّل مِن التزاماته وقِيَمِهِ واستقلاليَّته، والدَّعوة إلى التبعيَّة للغرب في كُلِّ توجهاته وممارساته، وقد استطاع هذا التيَّار استقطاب كثير مِن المفكِّرين العرب، فمسخوا هويتهم، وحاولوا قطع صلتهم بدِينهم، والذهاب بولائهم وانتمائهم لأُمَّتهم الإسلاميَّة مِن خلال موالاة الغرب، والزهو والافتخار بكُلِّ ما هو غربيٌّ، وهي أمورٌ ذات خطرٍ عظيمٍ على المسلمين(٢).

ثانيًا : نشأة التغريب.

بدأت نشأة التغريب في العالم الإسلامي في القرن التاسع عشر الميلادي، وقد بدأت حركة التغريب منذ عام (١٨٦٠م) عملها في لبنان عن طريق الإرساليَّات الأوروبيَّة، ومنها امتدت إلى مِصر في عهد الخديوي إسماعيل الذي كان هدفه أن يجعل مِصر قطعةً مِن أوروبا، وقد سعت حركة التغريب في تعزيز موقفها عن طريق إرسال البعثات إلى البلاد الأوروبيَّة، أو باستقدام الخبراء الغربيين للتدريس والتخطيط للنهضة الحديثة في العالم الإسلامي؛ وذلك لمواجهة تطلُّع الغربيين إلى بسط نفوذهم الاحتلاليَّة

---

(١) انظر : «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» (٢/٦٩٨).

(٢) انظر : «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» (٢/٧٠٦).

إثر بدء عهد النهضة الأوروبيَّة(١).

ثالثًا : أهداف التغريب.

تتمثَّل أهداف التغريب في الرَّغبة الشديدة في أن يُحوِّلوا العالم الإسلامي إلى مقلِّدين للغرب في كُلِّ شيءٍ، وأن يكونوا تبعًا لهم، وأمَّا أهدافهم فهي كثيرةٌ ومتنوعةٌ، مِن أهمها :

١- إحياء ما يُسمُّونه بالحضارات القديمة في العالم الإسلامي، ومنها النفاذ إلى قيام الحضارات الغربيَّة المتمثِّلة في الاستخفاف بالقديم في النهاية ونبذه وتركه، وقد استعد روكفلر اليهودي المتعصب بمبلغ عشرة ملايين دولار تبرعًا لإنشاء متحف للآثار الفرعونيَّة في مِصر، وقد فعل الكثير منهم ذلك والغرض مِن هذا هو النفاذ إلى تفريق كلمة المسلمين، وتبديدهم مِن خلال إرجاع كُلِّ قُطْرٍ إلى جاهليَّته القديمة قبل الإسلام والالتفاف حولها.

٢- التركيز على المناداة بالقضاء على التفرقة بين العالم الإسلامي والعالم الغربي حتى لا تبقى للمسلم شخصيَّته المتميزة، ويُسمُّون ذلك تطورًا في الفكر والثقافة على غرار عصر التنوير عند الأوروبيين.

٣- إحياء الدَّعوة إلى تقديس الوطنيَّة والقوميَّة وغيرها مِن النعرات الجاهليَّة، والاعتزاز بها لتكون بديلًا عن الاعتزاز بالدِّين وقِيَمِهِ، والإشادة بما حققته الوطنيَّة الغربيَّة، وإظهار الإعجاب بها؛ وذلك لضمان عدم عودة المسلمين إلى الأُلفة العامَّة فيما بينهم، وعدم اتحادهم في كتلةٍ واحدةٍ؛ ليسهل على الغرب وأتباعهم التأثير على كُلِّ قُطْرٍ بمفرده.

٤- الدَّعوة إلى الالتفاف حول ما يُسمُّونه بالإنسانيَّة لكي يجتمع الجميع تحتها، فتزول الفوارق والخلافات الدِّينيَّة ويحل السَّلام، وتصبح الأرض وطنًا للجميع - بزعمهم - وهي دعوةٌ يهوديَّةٌ ظاهرها الرَّحمة وباطنها العذاب، لأنها في حقيقتها سراب(٢).

---

(١) انظر : «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» (٢/٦٩٨).

(٢) انظر : «المذاهب الفكريَّة المعاصرة ودورها في المجتمعات، وموقف المسلم منها» لغالب عواجي (١/٤٦٥).

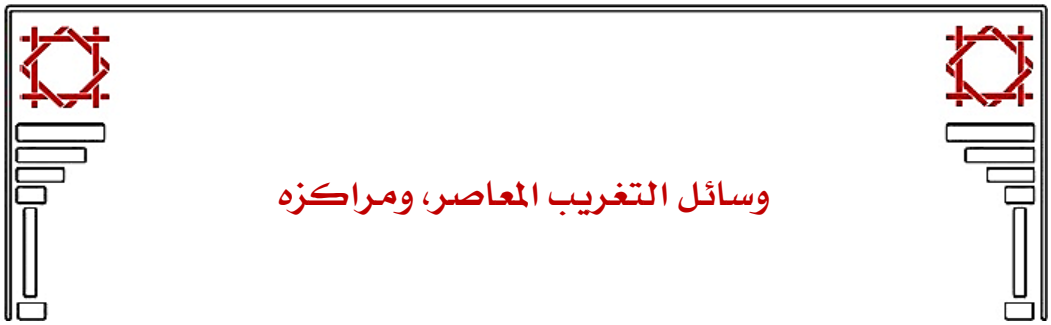

وسائل التغريب المعاصر، ومراكزه

أوَّلًا : وسائل التغريب المعاصر.

هناك عدَّة وسائل للتغريب المعاصر انتهجها في تمرير أجندته التغريبيَّة والتخريبيَّة في العالم الإسلامي، منها ما يأتي :

١- الابتعاث للدِّراسة في أوروبا.

وهو ابتعاث بعض الدَّارسين المسلمين إلى الغرب ليتعلَّموا شتَّى العلوم، ومِن الغريب أنَّ بعضهم يذهب لدراسة بعض العلوم الإسلاميَّة واللغويَّة والتاريخيَّة. مثل : ابتعاث رفاعة الطهطاوي إلى باريس الذي أقام فيها خمس سنواتٍ مِن (١٨٢٦-١٨٣١م)، وكذلك ابتعاث خير الدِّين التونسي إليها حيث أقام فيها أربع سنواتٍ مِن (١٨٥٢-١٨٥٦م)، وقد عاد كُلًّا منهما محمَّلًا بأفكارٍ تدعو إلى التغريب.

٢- ترجمة الكتب الغربيَّة.

وهي ترجمة الكثير مِن الكتب الغربيَّة إعجابًا بأشخاصها، وتوزيعها في كُلِّ بلدٍ للكبار والصغار، مثل : ترجمة كتب فولتير، وروسُّو، ومونتسكيو، وشكسبير في محاولةٍ منهم لنشر الفكر الغربي الأوروبي الذي ثار ضد الدِّين النصراني المحرَّف.

٣- إدخال المنهاج الغربيَّة في مناهج التعليم الإسلاميَّة.

حيث عمد التغريبيون على إدخال الأدب الفرنسي والأدب الإنجليزي في مناهج التعليم الإسلاميَّة، واعتماد بعض الجامعات على الدِّراسة في جميع مقرراتها باللغة الإنجليزيَّة.

٤- إصدار المجلَّات والدِّعايات للإعجاب بالحضارة الغربيَّة.

حيث قام بعض عملاء الغرب في العالم الإسلامي بإصدار مجلَّاتٍ ودعاياتٍ وتمثيليَّاتٍ وأشرطة تسجيلٍ وقصصٍ للكبار والصغار تدعو إلى الإعجاب بالحضارة الغربيَّة وتحقير الحضارة الإسلاميَّة والتقليل مِن أهميتها.

٥- إنتاج الأفلام السينمائيَّة لنقل الثقافة الغربيَّة للعالم الإسلامي.

وهي ما تقوم به الشركات السينمائيَّة الغربيَّة مِن إنتاج الأفلام التي تحثُّ على الإباحيَّة والجريمة والعنف، وتصديرها إلى البلاد الإسلاميَّة.

٦- إلزام المسلمين بارتداء الملابس الغربيَّة.

حيث قام بعض المسؤولين مِن المسلمين بإلزام جيوشهم وخدمهم بلباس الغرب افتخارًا به، خصوصًا في المجالات الرَّسميَّة؛ مثل : ما فعل السلطان محمود الثاني العثماني في سنة (١٨٢٦م) حيث أمر باتخاذ الزِّيِّ الأوروبي، وفرضه على العسكريين والمدنيين على حَدٍّ سواءٍ.

٧- ترويج نصارى العرب للثقافة الغربيَّة.

حيث وقف نصارى العرب في كُلِّ بلدٍ إلى جانب الغرب الصليبي، وإظهار إعجابهم بهم، وتحبيبهم إلى نفوس الناس، وهم بمثابة العيون والجواسيس للغرب، وكانوا مِن المسارعين بتلقي الثقافة الفرنسيَّة والإنجليزيَّة، كما كانوا يشجعون العلمانيَّة التحرُّريَّة؛ وذلك لعدم إحساسهم بالولاء تجاه الدولة العثمانيَّة، فبالغوا مِن إظهار إعجابهم بالغرب، ودعوا إلى الاقتداء به وتتبع طريقه، وقد ظهر ذلك جليًّا في الصحف التي أسسوها وعملوا فيها.

٨- تشويه الإسلام، والإشادة بالحضارة الغربيَّة.

وهو إثارة بعض القضايا ومهاجمة الإسلام مِن خلالها كقضية جواز الزواج بأكثر مِن واحدةٍ، وحق الطلاق الرجل، ولبس الحجاب، ومنع الاختلاط، وحقوق المرأة ... إلخ وغير ذلك مِن القضايا وتضخيمها، والرد على الإسلام مِن خلالها بتلفيق الأكاذيب والشبهات الباطلة حولها(١).

ثانيًا : مراكز التغريب المعاصر.

سعى التغريبيون في إنشاء مراكز لهم لنشر مخططاتهم في العالم الإسلامي؛ منها ما يأتي :

---

(١) انظر : «المذاهب الفكريَّة المعاصرة ودورها في المجتمعات، وموقف المسلم منها» لغالب عواجي (٤٥٨/١)، و«الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» (٦٩٨/٢-٦٩٩).

١- مؤتمر الشؤون الثقافيَّة والاجتماعيَّة في الشرق الأدنى.

الذي عُقد في جامعة برنستون بأمريكا في عام (١٩٤٧م)، وقام هذا المؤتمر لدراسة التغريب في العالم الإسلامي، وقد تُرجمت بحوث هذا المؤتمر إلى العربيَّة تحت رقم (١١٦) مِن مشروع الألف كتابٍ في مِصر، وشارك فيه كويلر يونغ، وحبيب كوراني، وعبد الحق أديوار، ولويس توماس.

٢- كلية (فيكتوريا) في الإسكندرية.

الذي أنشأها اللورد كرومر البريطاني في مِصر في عام (١٩٣٦م) لتربية جيلٍ مِن أبناء الحُكَّام والرُّؤساء والزعماء والوجهاء في محيطٍ إنجليزي؛ ليكونوا أداة المستقبل في نقل ونشر الحضارة الغربيَّة، وفي هذا قال اللورد لويد، المندوب السامي البريطاني في مِصر حينما افتتح هذه الكُليَّة : «كُلُّ هؤلاء لن يمضي عليهم وقتٌ طويلٌ حتى يتشبَّعوا بوجهة النظر البريطانيَّة».

٣- مؤتمر السكان والتنمية.

الذي عُقد في مِصر في عام (١٩٩٤م) بهدف نشر أفكار التحلل الجنسي الغربي بين المسلمين، وإتاحة الاتصالات غير المشروعة بين المراهقين، والزواج الحر، والسفاح، والتدريب على موانع الحمل، والإجهاض(١).

(١) انظر : «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» (٢/٦٩٨-٧٠٠).

نماذج مِن صور التغريب المعاصر في العالم الإسلامي

هناك نماذج كثيرةٌ مِن صور التغريب المعاصر في العالم الإسلامي، وهي التي اتخذها أعداء الإسلام لتدمير الهُويَّة الإسلاميَّة، منها ما يأتي :

١- إنشاء مجلَّة «الهلال» التي أسسها جورجي زيدان في مِصر في عام (١٨٩٢م) بهدف نشر الثقافة والروايات الغربيَّة، كما كانت لها سلسلةٌ مِن القصص التاريخيَّة المليئة بالافتراءات على الإسلام والمسلمين.

٢- إلغاء مصطفى كمال أتاتورك الخلافة العثمانيَّة في عام (١٩٢٤م) مما مهَّد لانضمام تركيا إلى الركب العلماني الغربي الحديث، وفرض عليها التغريب بأقصى صوره وأعنفه.

٣- الدَّعوة إلى الوطنيَّة والقوميَّة، ودراسة التاريخ والحضارات القديمة، والدَّعوة إلى الحريَّة على النمط الغربي الأوروبي.

٤- انتشار صور الدِّعايات والإعلانات الخليعة، والتي تدعو إلى المجون والفجور والإباحيَّة.

٥- إيجاد فكرٍ إسلامي متطور يبرر الأنماط الغربيَّة، ويمحو الطابع المميز للشخصيَّة الإسلاميَّة، بهدف إيجاد علاقةٍ مستقرَّةٍ بين الغرب وبين العالم الإسلامي[(١)].

(١) انظر : «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» (٢/٧٠١-٧٠٢).

موقف التغريبيين مِن قضايا المرأة المسلمة

سعى التغريبيون بكُلِّ ما أُوتوا مِن قوةٍ إلى تغريب المرأة المسلمة، والعمل على مسخ هويتها، وعفافها وحشمتها وحيائها، فكانت هي المقصد الأوَّل لتحقيق أهدافهم الخبيثة والدَّنيئة، وقد قام أحد رُوَّاد التغريب قاسم أمين وهو تلميذ محمد عبده، بالدَّعوة إلى تحرير المرأة، وتمكينها مِن العمل في الوظائف والأعمال العامَّة، وقد كتب كتاب «تحرير المرأة» في عام (١٨٩٩م)، وكتاب «المرأة الجديدة» في عام (١٩٠٠م)، وقد دعا في هذيْن الكتابيْن إلى تشكيل المرأة المسلمة في سلوكها وأفعالها على نمط المرأة الغربيَّة، فهم يحاولون وبكُلِّ قوَّةٍ إلى محاربة المرأة المسلمة(١).

(١) انظر : «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» (٢/٧٠٠).

سُبُل مواجهة التغريب مع التطبيق على النماذج السَّابقة

مِن واجب قادة الفكر الإسلامي كشف مخططات التيَّار التغريبي، والوقوف بصلابةٍ أمام سمومه ومفترياته، والتي تبثها الآن شخصيَّاتٌ مسلمةٌ، وصحافةٌ ذات باعٍ طويلٍ في محاولات التغريب، وأجهزةٌ وثيقة الصلة بالصهيونيَّة العالميَّة والماسونيَّة الدوليَّة، ويمكن مواجهة تيَّار التغريب عن طريق السُّبُل الآتية :

١- الاستغلال الإيجابي لوسائل الإعلام.

٢- إنشاء مراكز الدِّراسات الأُسريَّة والاجتماعيَّة.

٣- تشجيع محاضن التربيَّة والتوجيه النسائيَّة.

٤- كشف التيَّار التغريبي ورموزه والتحذير منه.

٥- التعريف بحقوق المرأة في الإسلام.

٦- رفع المظالم الواقعة على المرأة.

٧- تفعيل دور الاحتساب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٨- وضع خططٍ عمليَّةٍ ومدروسةٍ لمواجهة حركة التغريب.

٩- إنشاء مراكز تتولى الرصد والمتابعة للتغريب.

١٠- تفعيل وإحياء مهمة الدَّعوة إلى الله ﷻ(١).

(١) انظر : «حركة التغريب في السعودية، المرأة أنموذجًا» لجلال الشايب (ص٦٠٥-٦٤٣).

العقلانيَّة

تعريف العقلانيَّة والعقلانيين

أوَّلًا : تعريف العقلانيَّة.

هي مذهبٌ فكريٌّ يزعم أنه يمكن الوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود عن طريق الاستدلال العقلي بدون الاستناد إلى الوحي الإلهي، أو التجربة البشريَّة، وكذلك يرى إخضاع كُلِّ شيءٍ في الوجود للعقل لإثباته أو نفيه أو تحديد خصائصه(١).

ثانيًا : تعريف العقلانيين.

هم الذين يُقدِّمون العقل على نصوص الشرع، ويدعون إلى التجديد والنظر في الأحكام الشرعيَّة حسب مقتضيات العصر الحديث، وأغلب أصحاب هذا الاتجاه هم ممن يتبنَّون المرجعيَّة الإسلاميَّة في الجملة(٢).

(١) انظر : «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» (٢/٧٩٦).

(٢) انظر : «تجديد الدِّين لدى الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر» لأحمد اللهيب (ص١٤).

المقصود بعصر التنوير والتنويريين والعصرانيين

أوَّلًا : المقصود بعصر التنوير.

هو ما نجم عن خِضَمِّ العراك بين الدِّين النصراني ورجال الفكر؛ حيث ظهرت مذاهب عديدة للإجهاز على سلطة الدِّين النصراني ورجاله، فنشأ ما يُسمَّى بعصر التنوير؛ وهي الفترة التي أُقصي فيها الدِّين النصراني وحَلَّ محلَّه العقل في كُلِّ شيءٍ، وصار له الحُكم على الدِّين وعلى سلوك الناس بدايةً مِن النصف الثاني مِن القرن الثامن عشر الميلادي، الذي عُرف فيما بعد ذلك بعصر التنوير أي : عصر سيادة العقل وحده دون منازعٍ؛ ولشدة هروبهم مِن ظلم وظلمات الكنيسة فقد اعتبروا تقديم العقل على الدِّين هو بداية النور، والخروج مِن الظلام الذي كانت أسدلته الكنيسة عليهم(١).

ثانيًا : المقصود بعصر التنويريين :

هو اتجاهٌ نشأ في العالم الإسلامي في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، يسعى إلى محاولة إيجاد مواءمةٍ بين الإسلام والفكر الغربي، عن طريق إعادة النظر في تعاليم الإسلام ونصوصه، وتأويلها تأويلًا جديدًا حديثًا ينسجم مع المعارف والأوضاع العصريَّة السائدة(٢).

ثالثًا : المقصود بعصر العصرانيين.

هي حركةٌ تجديديَّةٌ واسعةٌ نشطت في داخل الأديان الكبرى؛ داخل اليهوديَّة، وداخل النصرانيَّة وداخل الإسلام أيضًا، وهذه الحركة بنت أفكارها على الاعتقاد بأنَّ

---

(١) انظر : «المذاهب الفكريَّة المعاصرة ودورها في المجتمعات، وموقف المسلم منها» لغالب عواجي (٦١٩/١)

(٢) انظر : «مصطلح التنوير، مفاهيمه، واتجاهاته في العالم الإسلامي الحديث – نظرة تقويميَّة –» لعبد اللطيف الصباغ (ص١٥).

التقدُّم العلمي، والثقافة المعاصرة، يستلزمان إعادة تأويل التعاليم الدِّينيَّة التقليديَّة على ضوء المفاهيم الفلسفيَّة والعلميَّة السائدة(١).

(١) انظر : «العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب» لمحمد الناصر (ص٥-٦).

الجذور الفكريَّة والعقديَّة للعقلانيين

ترجع الجذور الفكريَّة والعقديَّة للعقلانيين إلى فلاسفة اليونان الذين أعطوا للعقل حجمًا أكبر مِن حجمه، وغلوا فيه حتى عبدوه وألَّهوه مِن دون الله ﷻ، فغاية الفيلسوف هو التشبُّه بالإله بما يمليه عليه عقله.

وفي القرون الوسطى عندما سيطرت الكنيسة على الفلسفة الأوروبيَّة، واتهمت المفكرين بالهرطقة، أصبح الأوروبيون في شوقٍ شديدٍ ورغبةٍ لاسترداد العقل حريته في التفكير؛ ولكنه عاد إلى الجاهلية الإغريقيَّة وتحرَّر مِن سلطة الكنيسة، وسُخِّر العقل للبُعد عن الله ﷻ، وأصبح التفكير الحر معناه الإلحاد(١).

(١) انظر : «الموسوعة الميسَّرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» (٢/٧٩٧).

المدرسة العقليَّة الحديثة، تعريفها، ونشأتها، ومعالمها، وآثارها

أوَّلًا : تعريف المدرسة العقليَّة الحديثة.

هو اسمٌ يُطلق على تلك المدرسة التي تسعى إلى التوفيق بين نصوص الشرع والحضارة الغربيَّة والفكر الغربي المعاصر؛ وذلك بتطويع النصوص وتأويلها تأويلًا جديدًا حديثًا يتلاءم مع المفاهيم المستقرَّة لدى الغربيين(١).

ثانيًا : نشأة المدرسة العقليَّة الحديثة.

نشأت المدرسة العقليَّة الحديثة في العالم الإسلامي في القرن التاسع عشر الميلادي؛ وذلك بعد المعاناة التي عانى منها العالم الإسلامي مِن حروبٍ أنهكته وحطَّمته بعد الحروب الصليبيَّة التي أدَّت إلى ضعف العالم الإسلامي، وانتقال الحضارة العلميَّة إلى أوروبا التي وجَّهت طاقتها وعنايتها إلى الاهتمام بالعلوم التجريبيَّة ونشرها. وأمست البلاد الإسلاميَّة تحت سيطرة الدول الأوروبيَّة التي استغلت خيراتها ونعمت بثرواتها، واستيقظ العالم الإسلامي على أزيز الطائرات ودوي المدافع وضجيج المصانع فانبهر بعض المسلمين بتلك الحضارة، وبادر إلى السؤال عن أسبابها، ولم يفت على الاستعمار إعداد الجواب لمثل هذا السؤال فقد أقصى أصحاب الثقافة الدِّينيَّة عن ميادين الإصلاح، وحصر وظائفه في المساجد التي قَلَّ رُوَّادها عمومًا، وأصبحت الوظائف الحكوميَّة وأدوات التوجيه الاجتماعي في أيدي أصحاب الثقافة الأوروبيَّة الذين نشأوا في أحضان الاستعمار، وتشبَّعوا بثقافته، فسيطروا على أجهزة التعليم في كثيرٍ مِن البلاد الإسلاميَّة، فضلًا عن جهود الاستعمار الدائبة لنشر التغريب واللادِينيَّة بكُلِّ الوسائل الممكنة، وأوهموا الناس أنَّ حالة العالم الإسلامي تُشبه حالة أوروبا في العصور الوسطى،

---

(١) انظر : «موقف المدرسة العقليَّة الحديثة مِن الحديث النبوي الشريف» لشفيق شقير (ص١٥).

ولن ينهض إلَّا بما نهضت به أوروبا مِن فصل السلطة الدِّينيَّة عن السلطة المدنيَّة؛ وبذلك يتحقق له ما تحقق للأوروبيين.

وهال هذا الأمر علماء المسلمين، وذهبوا للرد على تلك الأفكار في مذاهب شتَّى، وحاولت فئةٌ منهم التوفيق بين الدِّين والعلم، وبيَّنت للناس أنَّ الدِّين الإسلامي الحق لا يحارب العلم ولا ينافي العقل، وأنه دِين العقل والحريَّة والفكر، وذهبت تُبيِّن للناس ذلك المنهج، وتُقيم الدِّين الإسلامي على العقل - الذي لا يُقِرُّ أرباب الثقافة الغربيَّة غيره حَكَمًا - وبيَّنت أنه ليس في الإسلام ما لا يقره العقل، وحاولت أن تُفسِّر القرآن الكريم على هذا المنهج وعلى هذا الأساس، وكان لهذه المدرسة العقليَّة رجالٌ، وكان لهم نشاطٌ واسعٌ في نشر هذه الثقافة، ومكافحة الاستعمار ومقاومة الهجوم على الدِّين، وإلقاء التبعيَّة عليه في التخلُّف الحضاري.

وكان مِن رجال هذه المدرسة المؤسسين لها جمال الدِّين الأفغاني، وتلميذه محمد عبده، وتلاميذه محمد مصطفى المراغي ومحمد رشيد رضا وغيرهم.

وسميت نهضتهم هذه بالنهضة الإصلاحيَّة، وكان لهذه المدرسة آراءٌ كثيرةٌ تخالف رأي السَّلف الصالح، وشطحاتٍ خطيرةٍ ما كانوا ليقعوا فيها لولا مبالغتهم الشديدة في تحكيم العقل في كُلِّ أمور الدِّين حتى جاوزوا الحق والصواب، وشكَّك بعض رجال الفكر الإسلامي الحديث في نزاهة المؤسسين لهذه المدرسة؛ أعني جمال الدِّين الأفغاني وتلميذه محمد عبده مستدلين على ذلك ببعض علاقاتهم وما ورد في كتاباتهم(١).

وهذه المدرسة في الحقيقة ترجع في أصولها للأصول العقديَّة والقواعد المنهجيَّة التي وضعها الجهميَّة والمعتزلة مِن تقديمهم العقل على النقل، فأطلُّوا برؤوسهم في هذا العصر، ونادوا بما نادى به الجهميَّة والمعتزلة مِن مناهج، واتخذوا مِن شعار التحرر والعقلانيَّة ذريعةً إلى نشر أفكارهم وآرائهم الفاسدة، والاستتار تحت شعار الاعتزال لدس السُّم في الفكر الإسلامي(٢).

---

(١) انظر : «الاتجاهات الوطنيَّة في الأدب المعاصر» لمحمد محمد حسين (٢٥٥/١)، و«منهج المدرسة العقليَّة الحديثة في التفسير» لفهد الرومي (٦٦/١).

(٢) انظر : «الإسلام والحضارة الغربيَّة» لمحمد محمد حسين (ص٧٩-٨١).

ثالثًا : معالم المدرسة العقليَّة الحديثة.

للمدرسة العقليَّة الحديثة معالمها وسماتها الخاصَّة تجاه الدِّين الإسلامي وشريعته، منها ما يأتي :

١- تقديم العقل على النصوص الشرعيَّة، بل ومحاكمة النصوص الشرعيَّة إلى العقل.

٢- الأخذ بالمناهج العلميَّة الغربيَّة، وخصوصًا مناهج المستشرقين منهم.

٣- عدم الالتزام بالضوابط الشرعيَّة، والدَّعوة إلى الحريَّة المنفلتة في تفسير الأمور الدِّينيَّة.

٤- التلاعب بمعاني النصوص الشرعيَّة، وتفسيرها تفسيرًا باطنيًّا أو عقلانيًّا.

٥- نقد العلوم الشرعيَّة، والتهكُّم عليها، والاستهتار بها.

٦- الدَّعوة إلى إعادة النظر في قراءة التراث الإسلامي مِن جديدٍ.

٧- الدَّعوة إلى حريَّة الاعتقاد(١).

رابعًا : آثار المدرسة العقليَّة الحديثة.

هناك آثارٌ سيئةٌ للمدرسة العقليَّة الحديثة خلَّفتها في العالم الإسلامي، وما زال المسلمون يعانون مِن تلك الآثار السيئة، منها ما يأتي :

١- تفسير القرآن الكريم بما يتلاءم مع المكتشفات العلميَّة :

أخذ بعض مَن تناول تفسير القرآن الكريم بعض مبادئ هذه المدرسة، وسار على نهجها في تفسيره سواءً التزم الحدود التي حدَّدوها أم تجاوزها إلى ما هو أبعد وأعمق، فلقد كان تفسير القرآن الكريم تفسيرًا يتلاءم مع كثيرٍ مِن المكتشفات العلميَّة الحديثة، وكان هذا محل عنايةٍ واهتمامٍ كبيرَيْن مِن قِبَل رجال المدرسة العقليَّة الحديثة، وكان مِن أُسس منهجهم في التفسير الاعتماد على المكتشفات والنظريَّات العلميَّة؛ حيث فسَّر محمد رشيد رضا قوله ﷻ : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا

(١) انظر : «موقف المدرسة العقليَّة المعاصرة مِن علوم القرآن وأصول التفسير» لمحمود البعداني (١/١٠٩-١٢٠).

﴿ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الأعراف:٢٧]، فقال : بأنَّ الجن المقصود في الآية هي الميكروبات التي ترانا ولا نراها؛ ولكن الله ﷻ مكَّننا مِن رؤيتها بالمكبرات.

٢- تفسير السُّنَّة النبويَّة بما يتلاءم مع المكتشفات العلميَّة :

حاول أصحاب المدرسة العقليَّة الحديثة تفسير الأحاديث النبويَّة بتفسيراتٍ علميَّةٍ تجريبيَّةٍ؛ حيث ذهب محمود أبو ريَّة إلى التكذيب بحقيقة المسيح الدجال الذي جاء وصفه في السُّنَّة النبويَّة، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّاسِ فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ : «إِنِّي لَأُنْذِرُكُمُوهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَ نُوحٌ قَوْمَهُ؛ وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ : تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»(١)، فقال أبو ريَّة : «إنَّ المسيح الدجال هو كُلُّ مبدلٍ وكُلُّ ماسخٍ لجمال الحق، ... وأنَّ هذا المسيخ ليس رجلًا واحدًا فقط؛ ولكنهم كثيرون وهم عُوَرٌ، وغير عُوَرٍ يعيشون معنا، وأناس منا، وكانوا مع مَن قبلنا وسيكونون مع مَن بعدنا وفي كُلِّ زمانٍ ومكانٍ ... وليسوا مسيحًا واحدًا كما يقول الحديث»(٢).

٣- الدَّعوة إلى القوميَّة الوطنيَّة.

ذهب أصحاب المدرسة العقليَّة الحديثة إلى تقديس القوميَّة والوطنيَّة، واعتبارها هي الرَّابطة الجامعة للمسلمين، وتخلَّت عن الرَّابطة الإيمانيَّة التي ربط ﷻ بها بين عباده، كما في قوله ﷻ : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [سورة الحجرات:١٠]، وقوله ﷻ : ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة المؤمنون:٥٢].

٤- الدَّعوة إلى التقريب بين الأديان.

سعى أصحاب المدرسة العقليَّة الحديثة إلى دعوة التقريب بين الأديان؛ وذلك بهدف تذويب الفوارق الدِّينيَّة بين المسلم والكافر حتى يسهل للمحتل دخول بلاد الإسلام دون أيِّ مقاومةٍ.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» - كتاب أحاديث الأنبياء - باب قول الله تعالى : ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١﴾﴾ [سورة نوح:١] - برقم (٣٣٣٧)، ومسلم في «صحيحه» - كتاب الفتن وأشراط السَّاعة - باب ذكر ابن صياد - برقم (٢٩٣١).

(٢) انظر : «منهج المدرسة العقليَّة الحديثة في التفسير» لفهد الرومي (٢/٧٣٣-٧٥١).

٥- الدَّعوة إلى فصل الدِّين عن الدولة

نادى أصحاب المدرسة العقليَّة الحديثة بفصل الدِّين عن الدولة، وكان هدفهم مِن ذلك هو تعطيل الشريعة وإقصائها تمامًا مِن حياة الناس، واستبدالها بالقوانين الوضعيَّة(١).

(١) انظر : «موقف المدرسة العقليَّة الحديثة مِن الحديث النبوي الشريف» لشفيق شقير (ص٢٢-٢٣).

العلمانيَّة

التعريف بالعلمانيَّة، ونشأتها، وأسباب ظهورها في الغرب

أوَّلًا : تعريف العلمانيَّة.

هي مذهبٌ هدَّامٌ يُراد به فصل الدِّين عن الحياة كُلِّها وإبعاده عنها، أو هي إقامة الحياة على غير دِينٍ، إمَّا بإبعاده قهرًا، ومحاربته علنًا كالشيوعيَّة، وإمَّا بالسماح به وبضده مِن الإلحاد، فهي تريد إقامة مجتمعاتٍ في جميع مجالاتها سياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا بعيدةً عن الدِّين(١).

وحين أُطلقت هذه التسمية في أوروبا كان يُقصد بها – عندهم – حسب ترجمتها الصحيحة : فصل الدِّين عن السياسة، أو الفصل الكامل بينه وبين الحياة الاجتماعيَّة، على أساسٍ أنه لا يجتمع العلم مع الدِّين – بزعمهم –، وقد كذبوا في ذلك وقلبوا الحقيقة، فإنَّ الدِّين والعلم حميمان يُكمِّل أحدهما الآخر ويقويه، أمَّا نسبة مذهبهم إلى العلم، فإنَّ الحقيقة تدل على أنه لا علاقة بين العلم وبين هذه الفكرة الضالَّة، بل إنَّ تسميتها علمانيَّة إنما هو بسبب سوء الترجمة مِن معناها الغربي الذي هو الابتعاد عن الدِّين، أو مِن باب الخداع والتضليل؛ إذ كان الأَولى أن تكون ترجمتها وتسميتها أيضًا هي «اللادينيَّة»؛ لأنَّ مفهومها الأصلي هو هذا، وليس نسبةً إلى العلم(٢).

ثانيًا : نشأة العلمانيَّة.

ظهرت العلمانيَّة في القرن الثامن عشر الميلادي في أوروبا، وقد قامت العلمانيَّة اللادِينيَّة على الإلحاد وإنكار وجود الله ﷻ وإنكار الأديان، وهي رِدَّةٌ في حَقِّ مَن

---

(١) انظر : «المذاهب الفكريَّة المعاصرة ودورها في المجتمعات، وموقف المسلم منها» لغالب عواجي (٦٨٣/٢)، و«الوجيز في المذاهب الفكريَّة المعاصرة – عرض ونقد –» لأحمد الخلف (ص١٩٨).

(٢) انظر : «المذاهب الفكريَّة المعاصرة ودورها في المجتمعات، وموقف المسلم منها» لغالب عواجي (٦٨١/٢).

يعتنقها مِن المسلمين مهما كان تعليله لها، وكانت العلمانيَّة عند قيامها تنظر إلى الدِّين على أنه ينبغي أن يكون أمرًا شخصيًّا لا شأن للدولة به، إلَّا ما يتعلَّق بجباية الضرائب للكنيسة، ولعلَّ هذا كان خداعًا لأهل الدِّين، ثم اشتدَّت المواجهة للدِّين على النحو الذي تطوَّرت إليه بعد ذلك، وكان الخلاف محتدمًا ما بين رجال الدِّين ورجال العلمانيَّة على السلطة، مما جعلهم ينادون بفصل الدِّين عن الدولة ليستقلَّ كُلُّ فريقٍ بسلطته. حتى إذا جاء القرن التاسع عشر الميلادي، إذ بالعلمانيين يتجهون اتجاهًا منافيًا لكل مظاهر الدِّين والتدين، وأحلُّوا الجانب المادي محل الدِّين، وبدأ الصراع يشتد بين العلمانيين الناشئين وبين رجال الدِّين الكنسي المتقهقر، إلى أن أُقصي الدِّين تمامًا، ولم يعد للإيمان بالغيب أي مكانةٍ في النفوس؛ إذ حلَّ محله الإيمان بالماديَّات المجردة المحسوسة(١).

والحقيقة أنَّ العلمانيَّة كانت نتيجةً لتلك المذاهب والنظريَّات المتلاحقة على الساحة أيام عصر التنوير والثورة الفرنسيَّة، وما نتج عنها مِن تطورٍ فكري مثل : الوضعيَّة، والإنسانيَّة، والدَّاروينيَّة، وغيرها مِن المكتشفات؛ وهذه الأفكار سواءً كانت مجتمعةً أو منفردةً كُلُّها أدَّت في نهاية المطاف إلى إنكار الدِّين وإبعاده عن مجال الحياة؛ سواءً الحياة السياسيَّة، أو الاقتصاديَّة، أو الاجتماعيَّة؛ لأنها بمجموعها تدعو الإنسان إلى عدم الإيمان بشيءٍ إلَّا مِن خلال المدركات والمحسوسات والتجارب العلميَّة، فهي تدعو إلى الإلحاد وإلى اللادِينيَّة، ففرضت العلمانيَّة على الشعوب الأوروبيَّة مِن خلال هذه الثقافة(٢).

ثالثًا : أسباب ظهور العلمانيَّة في الغرب.

نشأت العلمانيَّة في أوروبا وهي البلد المضياف لشتَّى الانحرافات والمذاهب الفكريَّة الضالَّة لأسبابٍ عديدةٍ، منها ما يأتي :

١- الظروف القاسية التي عاشتها أوروبا قرونًا طويلةً تحت سيطرة طغاة الحُكَّام وطغاة رجال الدِّين الكنسي، الذين وصلوا في الطغيان وضروب الخرافات إلى ما لا

(١) انظر : «المذاهب الفكريَّة المعاصرة ودورها في المجتمعات، وموقف المسلم منها» لغالب عواجي (٦٨٤/٢).
(٢) انظر : «الوجيز في المذاهب الفكريَّة المعاصرة - عرض ونقد -» لأحمد الخلف (ص٢٠٠).

يتصوره العقل مِن التجبُّر والتناقض، والظلم الفادح، واستعباد الناس وإذلالهم، والفقر المدقع، ومحاربة كُلِّ فكرٍ يخالف ما هم عليه.

٢- أنَّ العلمانيين تبيَّن لهم أنَّ هذا الدِّين النصراني المحرَّف لا يقبله العقل ولا يُقِرُّه المنطق، وأنه يحتوي على جرائم خُلُقِيَّةٍ مِن جنسٍ وبذخٍ ودعارةٍ لا حدود لها بين رجال الكنيسة أنفسهم - رهبانها وراهباتها -.

٣- ظهور أشنع الخرافات الهابطة مثل : صكوك الغفران، والعشاء الربَّاني، والتثليث، وغير ذلك مما أصاب الدِّيانة النصرانيَّة مِن التحريف والتبديل.

٤- اتصال بعض الأوروبيين بالمسلمين ومخالطتهم لهم في الجامعات الإسلاميَّة بالأندلس، واطلاعهم على حال المسلمين مِن حريَّةٍ وعدالةٍ اجتماعيَّةٍ، فتنبَّهوا لواقعهم المرير الذي يعيشونه تحت سلطة الكنيسة.

٥- الممارسة السيئة مِن رجال الدِّين الكنسي مِن سوء المعاملة لِمَن خالفهم في قولٍ أو فعلٍ، وما كانوا يفرضونه مِن ضرائب باهظةٍ، وتسخيرٍ مشينٍ للناس التابعين لهم تحت تسمية نظام السُّخرة، وما كان يتمتع به رجال الكنيسة مِن امتيازاتٍ لا حدود لها، وحياة الترف والبذخ التي كانوا يعيشونها على حساب الفقراء والمعدمين.

٦- وقوف رجال الكنسية ضد أصحاب العلم التجريبي، وما وصلوا إليه مِن اكتشافاتٍ جديرةٍ بالاحترام والقبول، لولا أنَّ هؤلاء قابلوهم بأنواع الاضطهاد والتعذيب، وكان لرجال الكنيسة صولاتٍ وجولاتٍ مع كُلِّ المفكرين، حيث أذاقوهم مِن التعذيب ما لا يعلمه إلَّا الله ﷻ، وبعد أن نصبت لهم محاكم التفتيش التي استعملت مِن أنواع التعذيب بالمخالفين الذين أطلق عليهم رجال الدِّين لقب «الهراطقة» ما لا يتصوره العقل والمنطق.

٧- الثورة الهائجة التي قامت في فرنسا على تعاليم الكنيسة الظالمة بعد أن ذاق الفرنسيون ألوان الحرمان والجوع والشقاء، وبعد أن تبيَّن لهم أنَّ كُلَّ أسباب تلك المصائب هم طبقة النبلاء الأشراف وطبقة رجال الدِّين، فخاضوا ثورتهم المشهورة التي أسفرت عن انتصار الشعب وسحق رجال الدِّين، وكُلُّ ما يتصل بالدِّين انتقامًا لما أسلفه رجال الدِّين نحوهم، وكانت سببًا مِن الأسباب القويَّة التي أدَّت إلى قيام العلمانيَّة، حيث تعتبر تلك الثورة هي الفاتحة والمشجع الأوَّل لقيام العلمانيَّة وإخفات

أصوات طغاة الكنيسة، وكذا المناداة بإقامة الحُكم على اللادِينيَّة، وعلى القوانين التي يصنعونها بدلًا عن قوانين الكنيسة وفلسفتها، وقد ذاق رجال الكنيسة وبال أمرهم على أيدي زعماء هذه الثورة الذين كانوا مِن أعدى أعداء الدِّين والقِيَم والأخلاق، وكُلِّ ما يتصل بالدِّين وبالله ﷻ.

٨- الكيد اليهودي المندَّس ضمن الجماهير الهائجة في الميدان، حيث اخترع اليهود مخططاتٍ لضرب الناس بعضهم بالبعض الآخر، وإشاعة الفوضى العارمة التي تُسفك فيها الدماء بدون رقابةٍ ولا تحقيقٍ، إذا كانوا ينظرون إلى المسيحيين وإلى الدِّين المسيحي على أنه هو العدو الحقيقي الذي يحول بينهم وبين وصولهم إلى قمة العزة والكرامة، حيث مَلَكَ اليهود العالم، كما أكدته الماسونيَّة اليهوديَّة(١).

(١) انظر : «المذاهب الفكريَّة المعاصرة ودورها في المجتمعات، وموقف المسلم منها» لغالب عواجي (٢/٦٩٠-٦٩٧).

أسباب انتقال العلمانيَّة إلى العالم الإسلامي

لقد انتشرت العلمانيَّة في ديار المسلمين انتشارًا قويًّا، وأوجد لها أعداء الإسلام عملاء مِن أهل كُلِّ بلدٍ، ينوبون عنهم في نشرها بالحيل أحيانًا، وبالقوة أحيانًا أخرى، وكان هؤلاء النواب أشد مِن ملاحدة الغرب شراسةً وإلحادًا، وأشد جرأةً وتعسفًا لأبناء جنسهم في إرغامهم على قبول اللادِينيَّة، ورَبُّوا عليها أجيالهم، وأصبحت في كثيرٍ مِن البلدان أمرًا مسلَّمًا به، وحلَّت محل الإسلام في كُلِّ ناحيةٍ، مع التظاهر عند البعض بالتزام الإسلام(١).

وفيما يأتي بيانٌ لبعض أسباب انتقال العلمانيَّة إلى العالم الإسلامي :

١- الاحتلال العسكري الغربي.

حيث وفدت العلمانيَّة إلى الشرق في ظلال الجيوش العسكريَّة الأوروبيَّة مع الحملات الفرنسيَّة والإنجليزيَّة، وعبر فُوَّهات المدافع والبوارج البحريَّة، وبذرت بذور العلمانيَّة على المستوى الرَّسمي قبل جلاء جيوش الاستعمار عن البلاد التي ابتليت بها.

٢- الابتعاث الخارجي للدِّراسة.

حيث يذهب المسلم إلى الخارج وهو خاوي الوفاض مِن دِينه، فيعود حربًا على دِينه وأُمَّته، مثل ما حصل مِن ابتعاث رفاعة الطهطاوي، وطه حسين، وزكي نجيب محمود، ومحمود أمين، وفؤاد زكريا وغيرهم كثيرون ممن نقلوا الثقافة الغربيَّة وعلى رأسها العلمانيَّة.

٣- البعثات التبشيريَّة التنصيريَّة.

حيث نشطت هذه البعثات التي جابت العالم الإسلامي شرقًا وغربًا مِن شتَّى

---

(١) انظر : «المذاهب الفكريَّة المعاصرة ودورها في المجتمعات، وموقف المسلم منها» لغالب عواجي (٢/٧٠٥).

الفِرَقِ والمذاهب النصرانيَّة، وجعلت هدفها الأوَّل هو زعزعة ثقة المسلمين في دِينهم، وإخراجهم منه، وتشكيكهم فيه، حتىٰ وإن لم يعتنقوا النصرانيَّة، وهؤلاء المبشِّرون إمَّا مِن الغربيين، مثل : زويمر ودنلوب، وإمَّا مِن نصارىٰ العرب، مثل : أديب إسحاق، وشبلي شميل، وسلامة موسىٰ، وجورجي زيدان، وأضرابهم، ومنهم مَن كان يعلن هويته التبشيريَّة ويمارس علمنة أبناء المسلمين؛ كزويمر، ومنهم مَن كان يعلن علمانيَّته فقط، ويبذل جهده في ذلك؛ كسلامة موسىٰ، وشبلي شميل.

٤- المدارس والجامعات الأجنبيَّة.

حيث انتشرت المدارس والجامعات الأجنبيَّة في البلاد الإسلاميَّة انتشار النار في الهشيم، وخرجت أجيالٌ مِن أبناء وبنات المسلمين أصبحوا بعد ذلك قادة الفكر والثقافة، ودعاة التحرير والانحلال، ومِن الأمثلة علىٰ ذلك : الجامعة الأمريكيَّة في بيروت، والتي نشأ في أحضانها العديد مِن الحركات والجمعيَّات العلمانيَّة، وقد سَرَت العدوىٰ بعد ذلك إلىٰ كثيرٍ مِن الجامعات والمؤسسات التعليميَّة الرَّسميَّة في العديد مِن البلاد العربيَّة والإسلاميَّة.

٥- الجمعيَّات والمنظمات والأحزاب العلمانيَّة.

حيث انتشرت في الأقطار العربيَّة والإسلاميَّة جمعيَّاتٌ ومنظماتٌ ما بين يساريَّة، وليبراليَّة، وقوميَّة، وأُمميَّة، وسياسيَّة، واجتماعيَّة، وثقافيَّة، وأدبيَّة، بجميع الألوان والأطياف، حيث إنَّ النُّخب الثقافيَّة كانوا إمَّا مِن خريجي الجامعات الغربيَّة، أو الجامعات السَّائرة علىٰ النهج ذاته في الشرق، وبعد أن تكاثروا في المجتمع عمدوا إلىٰ إنشاء الأحزاب القوميَّة أو الشيوعيَّة أو الليبراليَّة، وجميعها تتفق في الطرح العلماني، ومِن الأمور اللافتة للنظر أنَّ أشهر الأحزاب العلمانيَّة القوميَّة العربيَّة أسَّسها نصارىٰ، وبعضهم ليسوا مِن أصولٍ عربيَّةٍ، أمثال : ميشيل عفلق، والكثرة الساحقة مِن الأحزاب الشيوعيَّة العلمانيَّة إنما أسَّسها يهود، أمثال : كوريل وغيره.

٦- البعثات الدبلوماسيَّة.

حيث كانت هناك بعثاتٌ للدول الغربيَّة في البلاد الإسلاميَّة، وأصبحت هذه البعثات جسورًا تمرُّ مِن خلالها العلمانيَّة الغربيَّة مِن خلال الإيفاد، ومِن خلال المنح الدِّراسيَّة، وحلقات البحث العلمي، والتواصل الاجتماعي، والمناسبات والحفلات، ومِن

خلال الضغوط الدبلوماسيَّة، والابتزاز الاقتصادي.

٧- وسائل الإعلام المختلفة.

حيث انتشرت العلمانيَّة مِن خلال وسائل الإعلام المختلفة مِن مسموعةٍ أو مقروءةٍ أو مرئيَّةٍ؛ لأنَّ هذه الوسائل كانت مِن الناحية الشكليَّة مِن منتجات الحضارة الغربيَّة - صحافةً أو إذاعةً أو تلفزةً - فاستقبلها العالم الإسلامي، واستقبل معها فلسفتها ومضمون رسالتها، وكان الرُّوَّاد في تسويق هذه الرَّسائل وتشغيلها والاستفادة منها إمَّا مِن النصارى، أو مِن العلمانيين مِن أبناء المسلمين، فكان لها الدور الأكبر في الوصول لجميع طبقات الأُمَّة، ونشر مبادئ وأفكار وقِيَم العلمانيَّة، وبالذات مِن خلال الفن، وفي الجانب الاجتماعي بصورةٍ أكبر.

٨- التأليف والنشر في شتَّى العلوم.

حيث انتشرت العلمانيَّة عن طريق التأليف والنشر وبالأخص في الفكر والأدب، ومثل ذلك في الدِّراسات الفكريَّة المختلفة في علوم الاجتماع، والنفس، والعلوم الإنسانيَّة المختلفة، حيث قدَّمت نتائج كبار ملاحدة الغرب وعلمانيِّيه على أنها الحق المطلق، بل العلم الأوحد، ولا علم سواه في هذه الفنون، ومما يؤسف له أنَّ تلك العلوم تدرس للطلاب في المرحلة الثانوية في لبنان(١).

(١) انظر : «المذاهب الفكريَّة المعاصرة ودورها في المجتمعات، وموقف المسلم منها» لغالب عواجي (٢/٧٠٦-٧١٧)، و«عوامل انتقال العلمانيَّة إلى العالم الإسلامي» لمحمد أحمد عبد الغني (ص١٦).

صور العلمانيَّة في مجالات الحياة المختلفة

للعلمانيَّة صورها ومظاهرها المتنوعة في جميع مجالات الحياة المختلفة في العالم الإسلامي؛ فمِن ذلك :

١- العلمانيَّة والحُكم.

مِن صور العلمانيَّة في العالم الإسلامي عدم تطبيق الشريعة الإسلاميَّة في الحُكم، حيث رأى العلمانيون أنه لا تتم السعادة الحقيقيَّة للشعوب إلَّا إذا أُقصي الدِّين تمامًا عنهم، وحكموا أنفهسم بأنفسهم، بعيدين عن التأثُّر بأحكام الدِّين التي لا ترحم الفقير ولا تجبر الكسير، بل تحابي وتمالئ الظالمين مِن أصحاب المناصب والجاه، ومِن هنا كان فصل الدِّين عن الدولة عند العلمانيين أمرًا ضروريًّا؛ لأنه ينقض مذهبهم الباطل، ويهدم مخططاتهم الخبيثة.

٢- العلمانيَّة والاقتصاد.

لقد كان الاقتصاد هو العصا السحريَّة التي أسهمت في قيام المذهب العلماني، والواقع أنه حينما أقصى العلمانيون الدِّين عن أيِّ مجال مِن مجالات الحياة الاقتصاديَّة، على أساسٍ أنه لا يحقق الخير لأتباعه ولا يرفع الظلم عنهم، لم يأتوا هم أيضًا ببديلٍ يرفع ذلك الكابوس، بل تخبَّطوا في حلقاتٍ مفرغةٍ، وعاشوا أوضاعًا غايةً في الفساد وكساد المعيشة، لم يكن الرابح فيها غير المرابين والمحتكرين وتجار الرقيق وأصحاب الشَّرَه المادي، الذين لا يبالون بأحدٍ، ولا توجد فيهم أدنى عاطفةٍ على الفقراء والضعفاء، وعاش عامَّة الناس في تعاسةٍ رغم تزاحم النظريَّات الاقتصاديَّة، وهذه سُنَّة الله في الخارجين عن شرعه، ولم تنقذهم مِن تلك الحال لا الرَّأسماليَّة بنظامها الشَّرِه، الذي أطلق للناس الحبل على الغارب، ولا على طريقة الشيوعيَّة الماركسيَّة التي كبَّلت الناس وجعلتهم عبيدًا يكدحون للدولة في مقابل مما تعطيهم لسد حاجة الجوع، ولا العلمانيَّة التي لا يلوي فيها أحدٌ على أحدٍ.

٣- العلمانية والعلم.

غالى العلمانيون في العلوم التجريبيَّة غلوًّا شديدًا، وأوجدوا عداوةً بين الدِّين والعلم، وجعلوهما نقيضان لا يمكن أن يجتمع أحدهما مع الآخر في أيِّ مجالٍ، فإمَّا الدِّين بخرافاته وتخلُّفه وجوره الكنسي، وإمَّا العلم بنوره واكتشافاته التي أثبت الواقع صدقها وكذب رجال الكنيسة، وهكذا وجد علماء العلمانيَّة اللادِينية في اكتشافتهم العلميَّة التي كانت تدحض المعتقدات الخرافيَّة لرجال دِين النصرانيَّة خير دليلٍ، وأقوى حُجَّةٍ على بطلان الدِّين النصراني، خصوصًا وأنَّ رجال الكنيسة كانوا قد تحمَّدوا على معتقداتٍ في الكون وطبيعة الحياة، لا يُقرُّها عقلٌ ولا منطقٌ، وحكموا على كُلِّ مَن يتشكَّك فيها بالإحراق والشنق والسجن الطويل.

٤- العلمانيَّة والدِّين.

وضع العلمانيون الخطط التي أحكموها ضد الدِّين والتدين، وحاربوا كُلَّ مظهرٍ مِن مظاهر الدِّين في المجتمعات الإسلاميَّة، وعارضوه مِن كُلِّ وجهٍ، فمِن ذلك :

أ- تمييع الفوارق بين الدِّين الإسلامي والأديان الأخرى ومختلف الاتجاهات، فلا فَرْقَ بين أن يكون الشخص متديِّنًا أو غير متديِّنٍ، مسلمًا أو غير مسلمٍ، واخترعوا رباطًا يشمل جميع أفراد الشعب ودياناتهم المتعارضة، وهو رباط الوطنيَّة الذي أحلُّوه محل رباط الإيمان والتقوى وعبادة الله ﷻ وحده.

ب- الاستهزاء بالدِّين وتعاليمه والقائمين عليه، وتشجيع التحرر مِن كُلِّ فضيلةٍ أو خُلُقٍ أو عِفَّةٍ، واعتبار التمسُّك بأوامر الشرع ونواهيه تخلُّفًا وجمودًا، وعدم مسايرة تطور الحياة.

ج- إشغال المسلمين بقضايا هامشية، بعد أن ضخَّموا أمرها وأضرموا الخلافات فيها؛ ليتلهَّى بها الناس فيما بينهم، لكي تبعدهم عن النظر إلى واقعهم، وما يُبَيَّتُ لهم مِن غزوٍ فكريٍّ قبل الغزو الفعلي.

د- الوقوف بصرامةٍ في وجه كُلِّ ما يؤدي إلى إحياء الدِّين في نفوس الناس، سواءً كانت عن طريق الخطب، أو الكتابة، أو الصحافة، واعتبار كُلِّ مَن له اهتمامٌ بالدِّين والدَّعوة إليه متخلِّفًا أو عدوًّا للشعب والوطن، وغير ذلك مِن إلصاق شتَّى التُّهَم بأهل الخير والإصلاح والتديُّن.

هـ- تضخيم كُلِّ ما يتوصَّلون إليه عن طريق العلم وإطرائه بشتَّى المدائح، وربطه بالتمسُّك بالعلمانيَّة، والتحرُّر مِن كُلِّ قيود الدِّين المتخلِّف - بزعمهم -.

و- القضاء على التعليم الدِّيني؛ وذلك مِن خلال طريقيْن :

الطريق الأوَّل : تقليص التعليم الدِّيني مِن خلال :

- الازدراء بالتعليم الدِّيني.
- ازدراء معلِّمه وطلابه.
- إغلاق الوظائف اللامعة في وجوه خريجيه.
- خفض رواتبهم.

الطريق الثاني : نشر التعليم العلماني مِن خلال :

- الاهتمام والاعتناء به.
- الابتعاث لدراسته في الخارج.
- فتح المدارس الأجنبيَّة له.
- الاختلاط بيْن الجنسيْن فيه.

٥- العلمانيَّة والسلوك.

أقامت العلمانيَّة اللادِينيَّة نظامًا بعيدًا عن كُلِّ ما يتصل بالدِّين، وأشاعت الحريَّة الأخلاقيَّة التي كان يُقصد بها في المقام الأوَّل الإباحيَّة والدَّعارة المطلقة، وهدم كُلِّ الأخلاق والقِيَم والفضائل، بطرقٍ يهوديَّةٍ حاقدةٍ في غاية النتانة والقذارة(١).

(١) انظر : «المذاهب الفكريَّة المعاصرة ودورها في المجتمعات، وموقف المسلم منها» لغالب عواجي (٢/٧٢٠-٧٣٥).

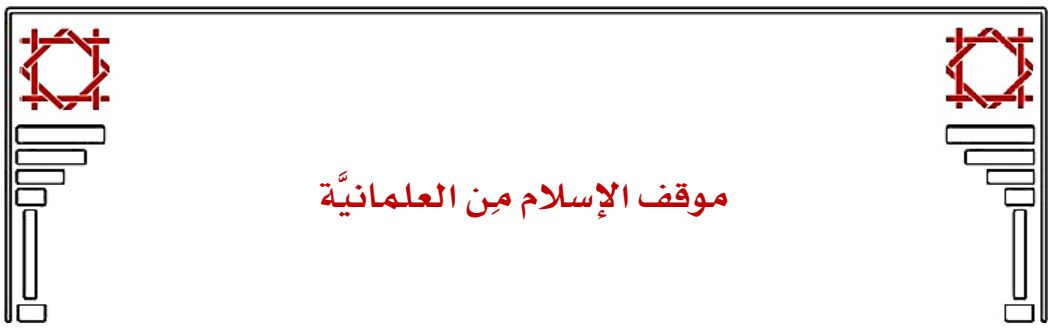

موقف الإسلام مِن العلمانيَّة

إنَّ الدِّين الإسلامي دِينٌ كاملٌ في كُلِّ جوانبه؛ لأنه جاء مِن أصدق القائلين وربِّ العالمين كما قال ﷻ : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة:٣]، فالإسلام دِينٌ كاملٌ ونعمةٌ تامَّةٌ، رضيه الله ﷻ لأمَّة محمد ﷺ، وقد اتضح بما لا شك فيه حتى عند أعداء الإسلام أنَّ هذا الدِّين هو الدِّين الصحيح، والمنهج السليم لسعادة وتحقيق آمالهم في الحياة السعيدة والأمن والأمان، وفيما يأتي بيانٌ لموقف الإسلام مِن العلمانيَّة :

١- أنَّ العلمانيَّة لا تتفق مع الإسلام لا مِن قبيلٍ ولا مِن دبيرٍ؛ لأنها قائمةٌ على فصل الدِّين عن الدولة، وإبعاده تمامًا عن الحياة، وهذا يتعارض مع قوله ﷻ : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الذاريات:٥٦]، وقوله ﷻ : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [سورة الأنعام:١٦٢-١٦٣].

٢- أنَّ العلمانيَّة ما وصلت إلى بلدٍ إلَّا وأنتجت فيه مِن الشقاء والفوضى في الحُكم والأخلاق والقِيَم وسائر السلوك ما لا يعلمه إلَّا الله ﷻ، فهي تجلب الفقر والخوف والأمراض والأوبئة والضنك وضيق المعيشة لأهلها كما قال ﷻ : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [سورة طه:١٢٤]، وقوله ﷻ : ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [سورة النحل:١١٢].

٣- أنَّ العلمانيَّة أثبتت فشلها في إسعاد المجتمعات التي ابتليت بها، فلماذا يجربها مَن ليس في حاجةٍ إلى شيءٍ مِن تعاليمها؟!، ولماذا يُدخل نفسه في شقاءٍ لا مبرر له؟!، والعاقل مَن اتَّعظ بغيره.

٤- أنَّ العلمانيَّة تتحاكم إلى القوانين الوضعيَّة، وتنبذ الشريعة الإسلاميَّة، بل وتعمل على إقصائها تمامًا، فهي تتحاكم إلى قوانين شيطانيَّة كما قال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [سورة النساء: ٦٠].

٥- ليس في الإسلام رجال دِينٍ ورجال دنيا، أو رجال تشريعٍ وقانون، أو رجال طبقات مسخَّرة كما يدَّعيه العلمانيون، فالناس في الإسلام كلهم في درجةٍ واحدةٍ في الأصل والتكليف، لا يتفاضلون إلَّا بإيمانهم وعلمهم وعملهم الصالح، فلا مزيَّة بينهم إلَّا في هذا الميدان، وبالتالي فلا يوجد فيه ما يبرر وجود تلك العداوات والعنصريَّات التي توجد في النُّظُم الجاهليَّة والمبادئ العلمانيَّة.

٦- أنَّ الإسلام يحترم العلم ويحثُّ على طلبه بكُلِّ الوسائل، كما يحترم العلماء ويثني عليهم كما قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [سورة فاطر: ٢٨]، وقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [سورة الزمر: ٩]، وميدان العلم في الإسلام فسيحٌ يشمل كُلَّ جوانب المعرفة، سواءً ما يتعلَّق منها بالدِّين والشريعة، أو ما يتعلَّق بالأمور الدنيويَّة ومعرفتها؛ مِن طبٍّ وزراعةٍ وتجارةٍ وصناعةٍ وغير ذلك، بينما في الدِّيانة النصرانيَّة لا علم إلَّا ما أشار إليه الكتاب المقدَّس، ولا حقَّ إلَّا ما تفوَّه به رجال الدِّين مهما كان الأمر، ومِن هنا كان العلم عند المسلمين يدعو إلى الإيمان، بخلاف ما عند النصارى ورجال العلمانيَّة المحاربين للدِّين باسم العلم(١).

(١) انظر: «المذاهب الفكريَّة المعاصرة ودورها في المجتمعات، وموقف المسلم منها» لغالب عواجي (٢/٧٠١-٧٠٣).

الليبراليَّة

التعريف بالليبراليَّة، ونشأتها

أوَّلًا : تعريف الليبراليَّة.

هي مذهبٌ فكريٌّ هدَّامٌ يُركِّز على الحريَّة الفرديَّة، وترى وجوب احترام استقلال الأفراد، وتعتقد أنَّ الوظيفة الأساسيَّة للدولة هي حماية حريَّات المواطنين مثل : حريَّة التفكير، والتعبير، والملكيَّة الخاصَّة، والحريَّة الشخصيَّة وغيرها(١) .

ثانيًا : نشأة الليبراليَّة.

نشأت الليبراليَّة في القرن السَّابع عشر الميلادي في أوروبا بعد عصر النهضة كردَّة فعلٍ على الظلم الذي جرى على الشعوب الأوروبيَّة مِن الكنيسة وحلفائها، وتلك العبوديَّة المغرقة في حرمان الشعوب الغربيَّة مِن أبسط حقوقها في مسائل الحريَّة مِن جرَّاء تسلُّط الكنيسة عليهم، فظهرت الأفكار الليبراليَّة وتمحورت في بدايتها على حريَّة العمل والتجارة والتملك، ثم تطوَّرت بعد ذلك إلى حريَّة الاعتقاد والتحرُّر الفكري(٢).

(١) انظر : «الوجيز في المذاهب الفكريَّة المعاصرة – عرض ونقد –» لأحمد الخلف (ص٢٥٣).

(٢) انظر : المرجع السَّابق (ص٢٥٤).

أُسس الليبراليَّة، ومبادؤها

تقوم الليبراليَّة على أُسسٍ فكريَّةٍ لا يمكن اعتبار أيُّ فردٍ ليبراليًّا وهو لا يُقرُّ بهذه الأُسس ولا يعترف بها؛ لأنها هي الأجزاء المكوِّنة لهذا المذهب والمميِّزة له عن غيره، وفيما يأتي بيانٌ لأهم أُسس ومبادئ الليبراليَّة :

الأساس الأوَّل : الحريَّة.

وتعني أنَّ الفرد حُرٌّ في أفعاله، ومستقلٌّ في تصرفاته دون أيِّ تدخلٍ مِن الدولة أو غيرها، فوظيفة الدولة حماية هذه الحريَّة وتوسيعها، وتعزيز الحقوق، واستقلال السلطات، وأن يُعطى الأفراد أكبر قَدْرٍ مِن الضمانات في مواجهة التعسف والظلم الاجتماعي والسياسي.

الأساس الثاني : الفرديَّة.

وهي السِّمة الأساسيَّة الأولى لعصر النهضة، فها هو عصر النهضة يأتي كردَّة فعلٍ لفكر القرون الوسطى، ويتحرَّر الفرد مِن الانضباط الكاثوليكي الطويل، وقد ارتبطت الحريَّة بالفرديَّة ارتباطًا وثيقًا، فأصبحت الفرديَّة تعني استقلال الفرد وحريته.

وقد جاءت هذه الفرديَّة بمفهومَيْن مختلفَيْن :

أحدهما : الفرديَّة بمعنى الأنانيَّة وحب الذات، وهذا المعنى هو الذي غلب على الفكر الغربي منذ عصر النهضة وإلى القرن العشرين الميلادي، وهذا هو الاتجاه التقليدي في الأدبيَّات الليبراليَّة.

والثاني : الفرديَّة بمعنى استقلال الفرد مِن خلال العمل المتواصل والاعتماد على النفس، وهذا هو الاتجاه البراجماتي، وهو مفهومٌ حديثٌ للفرديَّة.

الأساس الثالث : العقلانيَّة.

وتعني استقلال العقل البشري بإدراك المصالح والمنافع دون الحاجة إلى قُوًى خارجيَّةٍ، وقد تمَّ استقلاله نتيجة تحريره مِن الاعتماد على السُّلطة اللاهوتيَّة الطاغية،

ويلاحظ أنَّ الاعتماد على العقل وتحييد الدِّين جاء بصورةٍ متدرجةٍ؛ ولكنه استحكم في عصر التنوير، وزاد ترسيخه كمصدرٍ وحيدٍ للمعرفة في القرن التاسع عشر الميلادي الذي هو قمَّة الهرم الليبرالي، وقد أصبح الاعتماد على العقل المجرَّد وإقصاء الدِّين والقِيَمِ والأخلاق سمةٌ مِن أبرز سمات الفكر الأوروبي المعاصر.

الأساس الرَّابع : التسامح الدِّيني.

ويعني التسامح الدِّيني هو عدم اعتقاد يقينيَّة الإنسان لرأيه، أو فكره، أو مذهبه، أو دِينيه؛ لأنَّ هذا الاعتقاد ينافي التسامح في الفكر الليبرالي؛ لأنَّ التسامح في الفكر الليبرالي يقتضي الاعتراف بالآخر، وعدم الجزم بالأفكار والمعتقدات، واحتمال صواب المخالف(١).

(١) انظر : «الوجيز في المذاهب الفكريَّة المعاصرة – عرض ونقد –» لأحمد الخلف (ص٢٥٥-٢٥٨).

مظاهر الليبراليَّة

أوَّلًا : الليبراليَّة السياسيَّة.

تعتمد الليبراليَّة السياسيَّة على الحريَّة الفرديَّة كمفهومٍ أساسي لها؛ ولكنها تواجه وضعًا طبيعيًّا في الحياة الإنسانيَّة؛ وهو أنَّ الإنسان اجتماعيٌّ بطبعه، ومِن صور حياة الإنسانيَّة الاجتماعيَّة هي الحياة السياسيَّة؛ وتعني وجود أفكارٍ سياسيَّةٍ تحاول الجمع بين ضرورة المحافظة على حريَّات الأفراد، وتنظيم شؤونهم السياسيَّة، وقد اتجه بعض الليبراليين إلى تغليب جانب الحريَّة – وهذا هو الأصل في الفكر الليبرالي – فمنع تدخل الدولة حتى على مستوى إعانة الفقراء والمحتاجين، وحماية البيئة، وغلَّب آخرون جانب المساواة فطالبوا بالحد مِن الحريَّات لمصلحة المساواة الاجتماعيَّة، وكذلك يحصل الاختلاف في أشكال الحكومات وصورها، وأنواع التدخل المشروع وغير المشروع في المجال الخاص للفرد، ويشار هنا إلى أبرز المعالم لليبراليَّة السياسيَّة :

١– نظريَّة العقد الاجتماعي :

تعود فكرة نظريَّة العقد الاجتماعي بين الحاكم والمحكوم، أو بين الدولة والأفراد في الفكر الأوروبي إلى الفلسفة اليونانيَّة والرومانيَّة، فكثيرٌ مِن السوفسطائيين بنوا تصورهم للدولة على أساسٍ تعاقدي، وفي الفكر اليوناني ذهب كارتيادوس إلى أنَّ الناس كانوا يعيشون قديمًا بلا قانونٍ، وكان كُلٌّ منهم يعتدي على الآخر مما أدَّى إلى انتشار القلق والخوف؛ ولذلك أبرموا عقدًا اجتماعيًّا فيما بينهم يخضعون وفقه لنظامٍ يختارونه.

٢– الحقوق الأساسيَّة للفرد :

يُعَدُّ القانون الوضعي القاعدة والمرجعيَّة للحقوق الأساسيَّة للإنسان في الفكر الليبرالي، وهو المصدر الأساسي في التقنين الوضعي لها على شكل مواد محدَّدةٍ، وأي حُكمٍ قانوني أو قضائي يخالف هذه الحقوق فهو لاغٍ لا قيمة له؛ لأنَّ هذه الحقوق هي أساس التشريع.

٣- فصل السُّلطات :

نشأت الحاجة إلى فصل السُّلطات في النظام السياسي الليبرالي باعتباره أكبر ضمانٍ للحريَّة السياسيَّة، وهو يعني انقسام السلطات إلى : (تشريعيَّة، وتنفيذيَّة، وقضائيَّة)، بحيث تستقلُّ كُلٌّ منها بالتشريع، وتنفيذ القوانين، والقضاء، ولا تتدخَّل أيٌّ واحدةٍ في شؤون الأخرى، والسلطة عندما تكون بيدٍ واحدةٍ فإنها تكون سببًا في الاستبداد والطغيان.

٤- حريَّة الفكر والرَّأي :

يُعتبر المنطلق الأساسي لليبراليَّة هو الحريَّة كقيمةٍ إنسانيَّةٍ ضروريةٍ، ولهذا فإنَّ مِن واجبات الدولة حفظ الحريَّات، وحريَّة الفكر والرَّأي مِن أهم الحريَّات، فهي الضمان اللازم لحماية الفرد مِن استبداد الحكومات ومفاسدها، ويعتقد الليبراليون أنَّ توسيع الخلاف، والتعدديَّة في الآراء والأفكار ظاهرةٌ إيجابيَّةٌ تُنمِّي الفكر وتقوي الرأي، وتظهر الإبداع، ومِن لوازم حريَّة الفكر عندهم هو اعتقاد عدم امتلاك الحقيقة المطلقة؛ لأنَّ دعوى امتلاك هذه الحقائق يمنع مِن التفكير الحر، فالإيمان المطلق الذي لا يعتريه أدنى شكٌّ لا يتوافق مع الفكر الليبرالي الذي لا يبني عقيدةً محددةً يقينيَّةً، لأنَّ ذلك يناقض حريَّة الفكر والمناقشة حسب وجهة نظرهم؛ ولهذا فالمعتقدات الدِّينيَّة – عندهم – تعصبٌ لاعتقاد المؤمن بها والجزم بعقيدته، ومِن لوازم حريَّة الفكر – عندهم – أيضًا التسامح الدِّيني، وهو موقفٌ ليبراليٌّ ظهر في أوَّل أمره في أعقاب عصر الإصلاح الدِّيني كردَّة فعلٍ على الحروب الدِّينيَّة، فأصبح التسامح محور الموقف الليبرالي، وهذا الموقف (التسامح) يعني عدم اعتقاد يقينيَّة الإنسان لرأيه أو فكره أو مذهبه أو دِينه؛ لأنَّ هذا الاعتقاد ينافي التسامح في الفكر الليبرالي، فالتسامح يقتضي الاعتراف بالآخر، وعدم الجزم في الأفكار، واحتمال صواب المخالف.

ثانيًا : الليبراليَّة الاقتصاديَّة.

إنَّ الليبراليَّة ارتبطت في صعودها وأفكارها بالطبقة الوسطى (البرجوازيَّة)، وهذا يدل على أنَّ الجانب الاقتصادي أكثر أصالةً في المذهب الليبرالي مِن الجانب السياسي،

وقد اعتبر جون لوك الملكيَّة الخاصَّة مِن أهم الحقوق الأساسيَّة للفرد؛ ولهذا أعطى المُلَّاك حق الانتخاب، ومنع غيرهم مِن هذا الحق(١).

(١) انظر : «الوجيز في المذاهب الفكريَّة المعاصرة – عرض ونقد –» لأحمد الخلف (ص٢٦٠-٢٦٢).

عوامل ظهور الليبراليَّة في العالم الإسلامي

أوَّلًا : الانحراف العقدي.

يُعتبر الانحراف العقدي هو السبب المباشر في ضعف الأمَّة الإسلاميَّة وتخلُّفها وانحطاطها، وتراجعها في القرون المتأخرة، وكان سببًا للتمهيد لهذه المذاهب الهدَّامة، فقد فتح أمامها الباب على مصراعيْه؛ ولبيان حقيقة الانحراف العقدي في الحياة الإسلاميَّة العامَّة، وآثاره العميقة، فإنه يجدر توضيحه مِن خلال النقاط الآتية :

١- ظهور الفِرَقِ المنحرفة في العالم الإسلامي.

حيث ظهرت الفِرَقُ المنحرفة في العالم الإسلامي كالرَّافضة والباطنيَّة والإسماعيليَّة، والنصيريَّة، والدروز، والقاديانيَّة، والبهائيَّة، وغلاة الصوفيَّة ... إلخ. وليس المقصود هنا بيان عقائدهم على التفصيل؛ ولكن المقصود بيان آثار هذه الفِرَقِ في المجتمع الإسلامي، فمِن هذه الآثار :

أ- إشاعة العقائد الكفريَّة بين المسلمين، وإلصاق هذه العقائد بالإسلام، فهذه الفِرَقُ لا تدَّعي أنها أديانٌ مستقلَّةٌ عن دِين الإسلام، بل يدَّعي أصحابها أنهم مسلمون مع المناقضة التامَّة بين عقائدهم وبين الإسلام.

ب- تفريق صفوف المسلمين وإشاعة الفوضى والاضطراب فيها، وقد كانت لهم دولٌ وحكوماتٌ وحركاتٌ وجماعاتٌ، وقد قاموا بحروبٍ طاحنةٍ داخل المجتمع الإسلامي، وأشغلوا الدول الإسلاميَّة بمقاومتهم ورد كيدهم.

ج- التعاون مع اليهود والنصارى للكيد بالمسلمين؛ فلقد كان لهم دورٌ خبيثٌ في إعانة الاستعمار ومساعدته في الاستيلاء على بلاد المسلمين.

٢- ظهور الإرجاء في العالم الإسلامي.

يُعتبر الإرجاء مِن أخطر الانحرافات العقديَّة المؤثِّرة في حياة المسلمين، فمسألة الإيمان أهم مسألةٍ عقديَّةٍ؛ لأنها أصل الدِّين وأساسه، وهي المعيار في معرفة المؤمن مِن

الكافر، والموحِّد مِن المشرك، فالانحراف فيها لا بد أن يكون له آثارٌ عظيمةٌ في المجتمع الإسلامي.

وهذه الانحرافات العقديَّة قد ساهمت في ظهور الليبراليَّة في المجتمعات الإسلاميَّة؛ وذلك بدعوى الحريَّة والتعدديَّة الدِّينيَّة، مما فتح المجال لهذه المذاهب الهدَّامة للدخول في العالم الإسلامي.

ثانيًا : الاستبداد السياسي.

ساعد الاستبداد السياسي في ظهور الليبراليَّة في العالم الإسلامي، وبرَّر لوجودها، ودافع عنها، ودعمها بقوَّةٍ حتى وصلت إلى هذا الحد المزري في الأُمَّة الإسلاميَّة؛ فمِن هذه الأسباب :

١- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعمل على ظهور المنكرات والفواحش بصورةٍ خبيثةٍ.

٢- دعم وترويج الانحلال الأخلاقي والاجتماعي في المجتمعات الإسلاميَّة بدعوى الحريَّة والانفتاحيَّة.

ثالثًا : القُوى الاستعماريَّة الغربيَّة.

ساعدت القُوى الاستعماريَّة الغربيَّة على ظهور الليبراليَّة في العالم الإسلامي؛ وذلك يعود للعداوة العميقة بين أوروبا النصرانيَّة والبلاد الإسلاميَّة إلى الاختلاف الدِّيني، وهذه حقيقةٌ قرَّرها القرآن الكريم، ويشهد لها التاريخ والواقع، يقول ﷻ : ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [سورة البقرة:١٢٠]، ويقول ﷻ : ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ﴾ [سورة البقرة:٢١٧]؛ ولهذا وقعت الحروب الصليبيَّة القديمة والحديثة، وعندما تخلَّت أوروبا عن النصرانيَّة كدِينٍ لاهوتي، واعتنقت الفكر الليبرالي المادي العلماني بقيت معها روح التعصب الصليبيَّة، وهذا ما يُفسِّر التعامل الصليبي لأوروبا مع البلاد الإسلاميَّة مع أنها دول علمانيَّةٌ ماديَّةٌ ملحدةٌ، حيث انطلقت طلائع الاستعمار مِن روحٍ صليبيَّةٍ حاقدةٍ على الإسلام، ويمكن الإشارة إلى جهود الاستعمار الصليبي في فرض الليبراليَّة على العالم الإسلامي مِن خلال ما يأتي :

١- إلغاء الحُكم بالشريعة الإسلاميَّة، واستبدالها بالقوانين الوضعيَّة؛ وذلك مِن خلال حكومةٍ نيابيَّةٍ دستوريَّةٍ على النمط الغربي.

٢- القضاء على التعليم الإسلامي، وتغيير مناهجه، وبناء المدارس الأجنبيَّة، والمدارس التنصيريَّة في بلاد المسلمين بغرض التأثير على أبنائها ليسهل قبول الأفكار الليبراليَّة، وتُكسر الحواجز والعوائق دونها.

٣- القيام بإبراز الطوائف والمذاهب غير الإسلاميَّة، باسم حقوق الأقليَّات، وهذا العمل وغيره يبدو غطاءه الظاهر حماية الحريَّات ونبذ الطائفيَّة والتعصب؛ ولكنه يبطن أمرًا آخر وهو إبراز هذه الطوائف، وتوليتهم على المسلمين، وإضعاف الروح الدِّينيَّة في المجتمع الإسلامي.

٤- تكوين جيلٍ يحمل الفكر الليبرالي مِن أبناء المسلمين، وقد تم ذلك مِن خلال البعثات التعليميَّة، وبناء الجامعات المؤسَّسة على هذا الفكر، وجلب المستشرقين لها، ليكونوا أساتذةً ومعلمين للجيل الجديد(١).

(١) «حقيقة الليبراليَّة وموقف الإسلام منها» لسليمان الخراشي (ص٦٦-٧١).

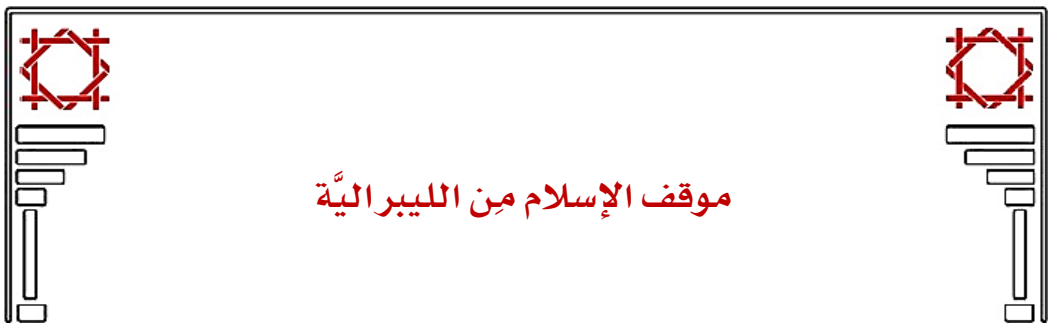

موقف الإسلام مِن الليبراليَّة

إنَّ الليبراليَّة مذهبٌ وتيَّارٌ فكريٌّ غربيٌّ هدَّامٌ، تنفي ارتباطها بالأديان كُلِّها، وتعتبر كافة الأديان قيودًا ثقيلةً على الحريَّات ولا بد مِن التخلُّص منها، وهي مناقضةٌ للإسلام في أصوله ومنهجه وأخلاقه وقِيَمِهِ، وفيما يأتي بيانٌ لموقف الإسلام مِن الليبراليَّة :

١- أنَّ الليبراليَّة فكرٌ هدَّامٌ ينادي بالحريَّة المطلقة في الدِّين والفكر والسياسة والاقتصاد، وينادي بقبول الآخر أيًّا كان ومهما كانت أفكاره، ولو كانت متعارضةً مع الدِّين؛ فمثلًا يقبل الليبراليون عَبَدَةَ الشيطان، ولا يمانعون مِن بقائهم في المجتمع، ولهم كافة الحريَّة في إظهار عقائدهم وأفكارهم، ولا يجوز لأيَّة جهةٍ إقصاؤهم.

٢- أنَّ الليبراليَّة تقوم على حريَّة الاعتقاد؛ فللإنسان أن يعتقد بما شاء ويؤمن بما يشاء، وله حريَّة السلوك؛ فللإنسان أن يفعل ما يريد بلا قيودٍ ما لم يتعرَّض لحريَّة غيره.

٣- أنَّ الليبراليَّة تقوم على حريَّة التديُّن المطلقة؛ فكُلُّ إنسانٍ حُرٌّ في تطبيق تعاليم الدِّين أو عدم تطبيقه، فمَن شاء أن يصلِّي فليصلِّ، ومَن لم يشأ فله ذلك، والمرأة إن شاءت تحجَّبت وإن لم تشأ خرجت سافرةً، ولا يجوز لأحدٍ أن يُلزم غيره بما لا يريد، وهذا إعدامٌ لشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو ركنٌ ركينٌ في دِيننا.

٤- أنَّ الليبراليَّة تزعم على عدم وجود مقدَّسٍ يُخضع له؛ لذا يقولون : لا بد مِن إخضاع المقدَّس والتراث للنقد العلمي، ويقصدون بالمقدَّس : القرآن الكريم، وبالتراث : سنة النبي ﷺ.

٥- أنَّ الليبراليَّة تقوم على مبدأ فصل الدِّين عن الحياة، فالليبراليَّة ترفض تحكيم القرآن والسُّنَّة، فالدِّين عندهم محصورٌ في المسجد، ولا علاقة للدِّين في شؤون الإنسان، وترفض الحُكم بالشرع؛ لأنَّ الشريعة تُقيِّد تصرفات الناس، فمِن حقوق الإنسان الزنا واللواط، والشريعة تعاقب على ذلك، فلا بد مِن السعي الحثيث لإلغاء تلك العقوبات، ومِن حقوق الإنسان حريَّة التديُّن، فله الخروج مِن الإسلام والارتداد منه، فلا بد مِن

السعي لإلغاء حُكم الردَّة أيضًا، وهكذا في بقيَّة العقوبات، فهي عُرضةٌ للمطالبة بالإلغاء مِن كُلِّ ليبرالي، أو إيقاف تنفيذها على أقلِّ تقديرٍ.

٦- أنَّ الليبراليَّة دعوةٌ إلحاديَّةٌ ترفض جميع الأديان حيث لا تعترف بهيمنة الدِّين على الحياة الإنسانيَّة، بل هي معترضةٌ عليه، وهي تريد أن تعطي الإنسان حريته المطلقة بالتحلُّل مِن قيود الأديان والقِيَمِ والأخلاق، فأساس الفكرة قائمةٌ على تعظيم العقل الإنساني وماديته؛ ولهذا ارتبطت عبارة الفكر الحر في كتابات الغربيين بالإلحاد والرفض للدِّين والقِيَمِ، وعليه فإنَّ الليبراليَّة لا تتفق مع الإسلام في أي وجهٍ مِن الوجوه(١).

(١) «حقيقة الليبراليَّة وموقف الإسلام منها» لسليمان الخراشي (ص١٨٥-١٨٦).

العولمة

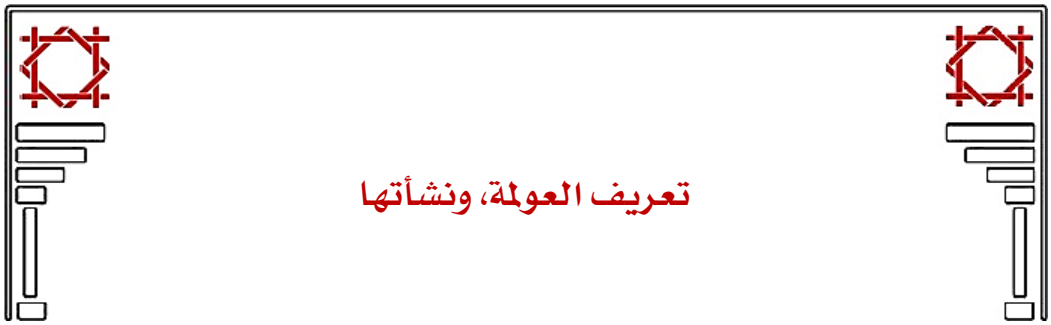

تعريف العولمة، ونشأتها

أوَّلًا : تعريف العولمة.

هي نظامٌ عالميٌّ يقوم على العقل الإلكتروني، والثورة المعلوماتيَّة القائمة على المعلومات، والإبداع التِّقني، دون اعتبارٍ للأديان، والأنظمة، والحضارات، والثقافات، والقِيَمِ، والحدود الجغرافيَّة، والسياسيَّة القائمة في العالم(١).

وللعولمة عدَّة إطلاقاتٍ ومسمَّياتٍ :

١- العالميَّة؛ نسبةً إلى العالم المعروف.

٢- الكونيَّة؛ نسبةً إلى الكون.

٣- الكوننة؛ نسبةً إلى الكون أيضًا.

٤- الكوكبة؛ نسبةً إلى كوكب الأرض.

٥- الغربنة؛ نسبةً إلى الغرب الأوروبي.

٦- الأمركة؛ نسبةً إلى أمريكا.

٧- النظام العالمي الجديد(٢).

فالعولمة مصطلحٌ يشير إلى العالم المعروف مِن المخلوقات، وبالأخص الإنسان الذي يعيش على وجه الأرض، ونتائج استعماره لها، وتسخير ما فيها لمصالحه، وعموم حضارته، وجعلها عامَّةً، ومنظومةً واحدةً متكاملةً(٣).

وتوصف العولمة بأنها نظامٌ جديدٌ يراد به توجيه العالم في إطارٍ جديدٍ واحدٍ،

---

(١) انظر : «رسائل في مذاهب فكريَّة معاصرة» لمحمد الحمد (ص٣٠١-٣٠٢).

(٢) انظر : «آثار العولمة على عقيدة الشباب» لعبد القادر عطا صوفي (ص١٩-٢٠).

(٣) انظر : «الوجيز في المذاهب الفكريَّة المعاصرة - عرض ونقد -» لأحمد الخلف (ص٢٧٣).

يشمل الدِّين، والسياسة، والجغرافيا، والاقتصاد، والثقافة، والاجتماع، والتربية، والتعليم، والأعراف، والتقاليد ... إلخ، ومِن هنا أُطلق عليه : النظام العالمي الجديد(١).

ويمكن وصف العولمة أيضًا بأنها عمليَّةٌ يتم مِن خلالها تعزيز الرَّوابط بين شعوب العالم في إطار مجتمعٍ واحدٍ؛ لكي تتضافر جهودهم معًا نحو الأفضل، وتُمثِّل هذه العمليَّة مجموع القوى الاقتصاديَّة، والسياسيَّة، والاجتماعيَّة، والثقافيَّة، والتكنولوجيَّة(٢).

وبعبارةٍ أخرى يقال : العولمة تعني إزالة الحواجز والفوارق سواءً كانت دِينيَّةً، أو سياسيَّةً، أو جغرافيَّةً، أو اقتصاديَّةً ... إلخ، ونفي الخصوصيَّة، والتركيز على المشترك العام، والنظر إلى العالم أنه قريةٌ واحدةٌ(٣).

ثانيًا : نشأة العولمة.

ظهرت العولمة في مطلع التسعينيَّات مِن القرن العشرين الميلادي في عام (١٩٩٠م)، بعد تفكُّك الاتحاد السوفيتي؛ حيث كان هناك تنافرٌ وتناقضٌ وصدامٌ بين الولايات المتحدة الأمريكيَّة والاتحاد السوفيتي، وكانت الحرب الباردة هي شعار تلك المرحلة، وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي انتهت مرحلة الحرب الباردة، وبدأت مرحلةٌ أخرى قام فيها الغرب بالبحث عن عدوٍّ جديدٍ؛ إذ رأوا أنَّ المرحلة مرحلة صدامٍ بين الحضارات، وأنَّ الصراع سيكون حضاريًّا، ودِينيًّا، وثقافيًّا، وعلميًّا، ومعرفيًّا، وأنَّ الصراع العسكري لا وجود له في هذه المرحلة، فنشأ ما يُسمَّى بالعولمة، أو النظام العالمي الجديد(٤).

ولعلَّ كلمة الرَّئيس الأمريكي السَّابق جورج بوش – الأب – التي قالها في خطابٍ له أمام الجمعيَّة العموميَّة للأُمم المتحدة الأمريكيَّة بتاريخ : (١٩٩٠/١٠/١م) مِن أنه ينظر إلى عالم عام (٢٠٠٠م) على أنه عالم حدودٍ مفتوحةٍ، عالم تجارةٍ مفتوحةٍ، وأهم مِن كُلِّ شيءٍ هو عالم عقولٍ مفتوحةٍ، تُلقي الضوء على المراد بالعولمة، فهي عالم العقول

---

(١) انظر : «رسائل في مذاهب فكريَّة معاصرة» لمحمد الحمد (ص٣٠١-٣٠٢).

(٢) انظر : «الوجيز في المذاهب الفكريَّة المعاصرة – عرض ونقد –» لأحمد الخلف (ص٢٧٥).

(٣) انظر : «رسائل في مذاهب فكريَّة معاصرة» لمحمد الحمد (ص٣٠١-٣٠٢).

(٤) انظر : المصدر السَّابق (ص٣٠٢).

المفتوحة، والاقتصاد المفتوح، الذي ينظر إليه الناظرون على أنه إدخال العالم بأسره – شاء أم أبى – تحت منظومةٍ واحدةٍ؛ فكريَّةٍ، وثقافيَّةٍ، وتشريعيَّةٍ، واقتصاديَّةٍ، واجتماعيَّةٍ، وعسكريَّةٍ، يقبل بها الناس طوعًا أو كرهًا، ويتنازلون عن خصائصهم العَقَدِيَّة والتشريعيَّة، وعن قِيَمِهِم وأعرافهم؛ ليعيشوا ضمن إطارٍ واحدٍ، وهي انفتاحٌ حضاريٌّ، وثقافيٌّ، وعسكريٌّ يعمُّ العالم، وبخاصَّةٍ العالم الإسلامي، وينقل المجتمعات ولا سيَّما الإسلاميَّة مِن حياةٍ تُنظِّمها ثوابت الدِّين، وتعاليم الشريعة، إلى حياةٍ تُبعد سلطان الشرع، وتُبعد الدِّين بتربيته، وتعاليمه، ونُظُمِهِ، وأُسسه مِن حياة الناس(١).

وحقيقة العولمة هي إعلان السيطرة والهيمنة اليهوديَّة على العالم، والتحكُّم فيه، وغزوه دِينيًّا، وثقافيًّا، وفكريًّا، وإعلاميًّا، وسياسيًّا، وعسكريًّا، واجتماعيًّا ... إلخ، بواسطة الدول الكبرى التي تسيطر عليها النخبة؛ لتصبح حكومةً عالميَّةً لها مِن القوة والسيطرة ما يُمكِّنها مِن التحكُّم بحياة البشر على سطح الأرض(٢).

(١) انظر : «آثار العولمة على عقيدة الشباب» لعبد القادر عطا صوفي (ص٢٠-٢١).

(٢) انظر : «لعبة المتنورين، والنظام العالمي الجديد» لمنصور عبد الحكيم (ص٣٦٤-٣٦٦).

وسائل نشر العولمة، وآثارها

أوَّلًا : وسائل نشر العولمة.

اتخذت العولمة عدَّة وسائل لنشر فكرتها، فوسائلها كثيرةٌ ومتعددةٌ ومتطورةٌ ما بين وسائل علميَّةٍ، وثقافيَّةٍ، وفكريَّةٍ، وسياسيَّةٍ، واقتصاديَّةٍ، وتكنولوجيَّةٍ، وتقنيَّةٍ ... إلخ؛ لكي تُمهِّد لها السَّبيل، وتفرضها فرضًا على الشعوب بالترغيب تارةً، وبالترهيب تارةً أخرى، فالعولمة سلوكٌ استبداديٌّ ديكتاتوريٌّ وحشيٌّ يريد إكراه العالم عليه، والاندماج فيه، والعمل به، والعيش في إطاره، وفيما يأتي بيانٌ لأهم وسائل نشر العولمة :

١ – العولمة الثقافيَّة.

حيث إنها تتخذ مِن ترويج العولمة الثقافيَّة وسائل لنشر مذهبها؛ وذلك عبر عدَّة مساراتٍ :

أ– ترويج ثقافة الاستهلاك لِمَا تُنتجه الرَّأسماليَّة الغربيَّة الأمريكيَّة مِن المأكولات والمشروبات والملابس والمراكب، وتريد العولمة أن تشيع هذه الثقافة الغربيَّة التي تُبيح ما حرَّم الله ﷻ.

ب– ترويج ثقافة الجنس المنفتح، بحيث يستمتع الرَّجل بالمرأة، والمرأة بالرَّجل بطريقةٍ غير شرعيَّةٍ، ولا رسميَّةٍ، وإشاعة الزنى، واللواط، والإباحيَّة، والشذوذ الجنسي في المجتمعات.

ج– ترويج القبائح، وإبرازها في صورةٍ حسنةٍ، وبعباراتٍ لطيفةٍ غير منفِّرةٍ؛ مثل : وصف العاهرات الفاجرات بصاحبة «مهنة الجنس»، ووصف الشذوذ الجنسي واللواط بـ «المثليَّة الجنسيَّة»، ووصف الخمور والمسكرات بـ «المشروبات الرُّوحيَّة»، ووصف التعرِّي والخلاعة والمجون بـ «الموضة»، وغير ذلك مِن تزيين الباطل والمحرَّمات.

د– تشويه الحقِّ، وإبرازه في صورةٍ قبيحةٍ ومنفِّرةٍ؛ مثل : وصف المتدينين والمستقيمين بأنهم إرهابيون، ومتطرفون، ورجعيون، وظلاميون ... إلخ، ووصف مَن

يدافعون عن أرضهم، وعرضهم، ومالهم بأنهم انفصاليون، وخارجون عن القانون(١).

٢- العولمة الاقتصاديَّة.

حيث إنها تتخذ مِن ترويج العولمة الاقتصاديَّة وسائل لنشر مذهبها؛ وذلك عبر عدَّة مساراتٍ :

أ- فكرة وحدة السوق الاقتصادي؛ وذلك بإزالة المعوقات أمام حركة رأس المال، وعلى حريَّة الاقتصاد.

ب- صندوق النقد الدولي الذي يمارس عمليَّات الإقراض؛ وذلك بإقراض الدول المتضررة مِن الحروب، والدول المنكوبة والفقيرة، ويكون هذا الإقراض بشروطٍ قاسيةٍ، يقصم ظهور هذه الدول، فيخضعها لتبعيَّة العولمة.

ج- منظمة التجارة العالميَّة؛ وذلك مِن خلال سَنِّ قوانينها تجاه السلع، والخدمات، وحقوق الملكيَّة الفرديَّة.

د- الدعاية الإعلاميَّة لترويج المنتجات الاستهلاكيَّة؛ وذلك مِن خلال ترويج المنتجات التي تُصنع في الغرب، وبخاصَّةٍ التي تُصنع في أمريكا.

هـ- الشركات المتعددة الجنسيَّات؛ وذلك مِن خلال تنوع الشركاء مِن مختلفي الجنسيَّات في الشركة الواحدة، ذات التنوع الإنتاجي المختلف مِن كُلِّ الدول.

و- فرض عملةٍ واحدةٍ للتداول في الأسواق العالميَّة؛ كالتعامل بالدولار الأمريكي في البيع والشراء، وجعله عملةً عالميَّةً، وكذلك ما يُخطط له اليوم مِن فرض العملات الرَّقميَّة كـ «البيتكوين» وغيرها.

٣- العولمة الاجتماعيَّة.

حيث إنها تتخذ مِن ترويج العولمة الاجتماعيَّة وسائل لنشر مذهبها؛ وذلك عبر عدَّة مساراتٍ :

أ- نقل ثقافة وقِيَمِ المجتمع الغربي والأمريكي؛ ليكون المثال والقدوة؛ وذلك مِن خلال الأفلام، والمسلسلات، والسينما، والمسرح، والفن ... إلخ.

---

(١) انظر : «مخاطر العولمة على الهويَّة الثقافيَّة للعالم الإسلامي» لأبي بكر رفيق (ص١٠).

ب- عقد المؤتمرات الدوليَّة التي تخص مجال المرأة، والشباب، والطفل، والسكَّان، والتنمية الاجتماعيَّة.

ج- نقل السُّلوك والعادات والتقاليد الغربيَّة عن طريق المواد الإعلاميَّة في القنوات الفضائيَّة، وشبكات الإنترنت.

هـ- فرض اللغة الإنجليزيَّة للتعامل بين دول العالم، حتى أصبحت هي اللغة العالميَّة الأولى التي سيطرت على جميع اللغات، وقد أصبحت اللغة الثانية في بعض المجتمعات والدول(١).

٤- العولمة السياسيَّة.

حيث إنها تتخذ مِن ترويج العولمة السياسيَّة وسائل لنشر مذهبها؛ وذلك عبر عدَّة مساراتٍ :

أ- استخدام مجلس الأمن الدولي، والذي تُعَدُّ قراراته ملزمةً عالميًّا كأداةٍ للسيطرة والهيمنة تجاه بعض الدول.

ب- استخدام الضغوط السياسيَّة، والإعلاميَّة، والاقتصاديَّة، والعسكريَّة على بعض الدول؛ وذلك في مجال حقوق الإنسان، وحقوق الأقليَّات، والدِّيمقراطيَّة، وحريَّة الرَّأي(٢).

ثانيًا : آثار العولمة.

للعولمة آثارها السيئة على الأديان، والأفراد والمجتمعات، وسياسة الدول، وفيما يأتي بيانٌ لآثارها السيئة :

١- أثر العولمة على الأديان.

حيث كان للعولمة أثرها السيء على الأديان، فمِن ذلك :

أ- زعمها أنَّ الأديان هي سبب التخلُّف الحضاري، والعائق أمام التقدُّم والرُّقي بالبشريَّة والإنسانيَّة.

---

(١) انظر : «أثر العولمة على الثقافة الإسلاميَّة» لعبد الرَّافع الأمين (ص٤)، و«مخاطر العولمة على الهويَّة الثقافيَّة للعالم الإسلامي» لأبي بكر رفيق (ص١١).

(٢) انظر : «أثر العولمة على الثقافة الإسلاميَّة» لعبد الرَّافع الأمين (ص٥).

ب- زعمها أنَّ الإسلام يُمثِّل خطرًا كبيرًا على الغرب، وأنه يُذكِّرهم بالجيش العثماني الذي يقف على أبواب فيينا.

ج- زعمها أنَّ الالتزام بالدِّين، والاستقامة عليه دلالةٌ على التشدُّد والرَّجعيَّة، وأنه يرفض التطور والتكنولوجيا(١).

٢- أثر العولمة على الأفراد والمجتمعات.

حيث كان للعولمة أثرها السيء على الأفراد والمجتمعات، فمِن ذلك :

أ- إقرار الحريَّة الجنسيَّة البهيميَّة، وإباحة العلاقات المحرَّمة بين الرَّجل والمرأة خارج حدود الزواج.

ب- فرض مفهوم المساواة بين الرَّجل والمرأة في الحقوق، والواجبات، والالتزامات، والأولويَّات.

ج- الهيمنة على المبادئ والأفكار والمعتقدات التي تُحدِّد وجدان الإنسان، وسلوكه ومشاعره(٢).

٣- أثر العولمة على الاقتصاد.

حيث كان للعولمة أثرها السيء على الاقتصاد، فمِن ذلك :

أ- جعلت العلاقات بين الدول والشركات قائمةً على التنافس والتصارع لاقتناص الأرباح، وسباق الآخرين.

ب- جعلت السَّبق والغلبة والهيمنة للأقوى اقتصاديًّا، والاندحار والانهيار مِن نصيب الأضعف اقتصاديًّا(٣).

٤- أثر العولمة على السياسة الدوليَّة.

حيث كان للعولمة أثرها السيء على السياسة الدوليَّة، فمِن ذلك :

أ- محاولة السيطرة على العالم، وجعله تحت حُكمٍ واحدٍ، يعتمد على الفلسفة النفعيَّة البراجماتيَّة؛ وذلك بعد القضاء على الأديان، والأيدولوجيَّات، والقوميَّات،

---

(١) انظر : «رسائل في مذاهب فكريَّة معاصرة» لمحمد الحمد (ص٣٠٣).

(٢) انظر : «أثر العولمة على الثقافة الإسلاميَّة» لعبد الرَّافع الأمين (ص٥ و١٠).

(٣) انظر : «الوجيز في المذاهب الفكريَّة المعاصرة - عرض ونقد -» لأحمد الخلف (ص٢٨٠).

والعرقيَّات.

ب- إقامة التحالفات مع الأعداء السَّابقين؛ كتحالف أمريكا مع اليابان وكوريا، حيث تهدف هذه التحالفات منع أيِّ قوةٍ تُهدِّد المصالح الأمريكيَّة(١).

(١) انظر : «الوجيز في المذاهب الفكريَّة المعاصرة - عرض ونقد -» لأحمد الخلف (ص٢٧٨-٢٧٩).

علاقة العولمة بالمذاهب الفكريَّة المعاصرة

هناك علاقةٌ وطيدةٌ بين العولمة والمذاهب الفكريَّة المعاصرة الضالَّة؛ حيث يُبدي العلمانيون والليبراليون والحداثيون وغيرهم ترحيبًا ظاهرًا بالعولمة، وينتظرونها بفارغ الصبر، ويُبشِّرون بالخير العميم الذي سيحلُّ عليهم مِن العولمة، ليخرجهم مِن التخلُّف إلى الحداثة – بزعمهم – فهي الوسيلة الوحيدة، والسلاح الفتَّاك الذي ينتظرونه لكي يحاربون به الأديان، ويُحطِّمون به الأخلاق؛ بل أبدى بعضهم فرحته بأنها هي التي ستزيل مِن حياة الناس بقايا القرون الوسطى التي ما تزال عالقةً بهم، أو بعبارةٍ أخرى تزيل لهم الإسلام – قاتلهم الله أنى يؤفكون –.

وهذه الفرحة الغامرة التي يتحدَّث بها العلمانيون والليبراليون والحداثيون عن العولمة، والترحيب الحار الذي يستقبلون به أنباءها، والبُشريات التي يبثونها بالخير الذي سوف يغمرهم مِن جرَّائها، وكان مِن أشد ما يستبشرون به – كما صرَّح بذلك متحدِّثون منهم – القضاء على الدِّين الإسلامي، وإزالته مِن الوجود، هكذا يُفكِّرون، وهكذا يحلمون؛ ولكن كما قال ﷻ عنهم : ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [سورة البقرة:١١١]، فهم يحلمون بالقضاء على هذا الدِّين، وما علموا أنَّ الله ﷻ متمٌّ نوره وناصرٌ دِينه كما قال ﷻ : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة التوبة:٣٢]، وقال ﷻ : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة التوبة:٣٣].

وما علموا أنَّ هذه التقنيات والإلكترونيَّات والتكنولوجيَّات هي تحت مشيئة الله ﷻ، فإن شاء أن يفنيها مِن الوجود لَفَعَلَ ذلك ﷻ؛ ولكن كما قال ﷻ عنهم : ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾﴾ [سورة الروم:٧]، وما علموا أنَّ الله ﷻ قد أهلك قبلهم مِن الأُمم والحضارات، وكانوا أشد منهم قوَّةً وآثارًا، وجعلهم

عبرةً وآيةً لغيرهم، كما قال ﷻ : ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [سورة الروم:٩]، وقال ﷻ : ﴿۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾﴾ [سورة محمد:١٠]، وما علموا أيضًا أنَّ غرور البشر قد يؤدِّي إلى الزوال والدَّمار، كما قال ﷻ : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة يونس:٢٤]، وما علموا أنَّ الله ﷻ مِن ورائهم محيطٌ، وأنه يمكر ويكيد بهم مِن حيث لا يشعرون، كما قال ﷻ : ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة النمل:٥٠]، وقال ﷻ : ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الأنفال:٣٠]، وقال ﷻ : ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾ [سورة الطارق:١٥-١٧].

الموقف الشرعي مِن العولمة

هناك موقفٌ شرعيٌّ مهمٌّ على عاتق المؤسسات العلميَّة والثقافيَّة في مواجهة خطر العولمة المعاصرة، وفيما يأتي بيانٌ لأبرز الأدوار التي يمكن مِن خلالها أن تعالج المؤسسات الشرعيَّة والعلميَّة والثقافيَّة هذا الخطر الدَّاهم :

١- بيان أنَّ الإسلام لم يكن ولن يكون مانعًا مِن التقدُّم العلمي والتقني، أو حجر عثرةٍ في طريقه، بل إنَّ الإسلام قد بلغ شأوًا عظيمًا في التقدُّم والرُّقي حين كان أهله متمسكين به، ومتَّبعين المنهج الربَّاني الذي جاءهم مِن خالقهم ﷻ.

٢- أنَّ على عاتق المؤسسات التعليميَّة مسؤوليةٌ كبيرةٌ في تربية الشباب والشابَّات التربيَّة الإسلاميَّة الصحيحة وفق منهج السَّلف الصالح رَحِمَهُمُ اللهُ، وأن تقف موقف الحذر والحيطة مِن كُلِّ ما تلقيه المصادر الوافدة الغريبة عنهم وعن دِينهم وعن عقيدتهم.

٣- أنَّ على المؤسسات التعليميَّة القيام بنشاطاتٍ تعليميَّةٍ ومعرفيَّةٍ، وإنعاش قِيَمِ التفوق الثقافي، والحضاري والتاريخي عند المسلمين، ومواجهة الغزو الفكري العولمي.

٤- أنَّ على المؤسسات التعليميَّة إعداد أبحاثٍ علميَّةٍ تَرُدُّ على مزاعم العولمة، وتتسم بفقه النص والواقع معًا، مع ترجمة هذه الأبحاث بعدَّة لغاتٍ.

٥- أنَّ على عاتق المؤسسات التعليميَّة تدريب كفاءاتٍ ونُخَبٍ متميِّزةٍ في فنون الحوار والإلقاء؛ لمناقشة مستجدَّات العولمة، ورد شبهاتها وتفنيدها.

٦- أنَّ على أصحاب الأقلام والفكر والإعلام في العالم الإسلامي مسؤوليَّةٌ كبيرةٌ في مواجهة خطر العولمة، فعليهم أن يزيحوا الأضاليل والأغاليط التي يغرسها أعداء الإسلام، وأن يدافعوا عن مبادئ دِينهم الحنيف.

٧- أنَّ على رجال الفكر والأدب في العالم الإسلامي ضرورة مواجهة تأثير الفكر الغربي والأمريكي في العالم عبر الفضائيَّات، والمجلَّات والإنترنت والمنتديات؛ لشرح الفكر الإسلامي الصحيح، وتوضيح صورة الإسلام السَّمحة.

٨- أنَّ على وسائل الإعلام فتح قنواتٍ توعويَّةٍ وثقافيَّةٍ تهتم بشؤون الأسرة، ووضع أساليب للوقاية مِن زخم العولمة الذي يدعو إلى الإباحيَّة والفساد، وانهيار الأخلاق والقِيَم.

٩- أنَّ على المسؤولين في وسائل الإعلام والصحافة متابعة ورصد كُلِّ ما يُنشر ضد ثوابت الدِّين الإسلامي الحنيف، وأن يتصدُّوا لتلك الهجمات الشرسة على الإسلام وأهله(١).

(١) انظر : «آثار العولمة على عقيدة الشباب» لعبد القادر عطا صوفي (ص١٢٣-١٢٦)، و«أثر العولمة على الثقافة الإسلاميَّة» لعبد الرَّافع الأمين (ص١٩).

حقوق الإنسان

مفهوم حقوق الإنسان
ومرتكزاته الأساسيَّة في الإسلام، ومقارنته بحقوق الإنسان في الغرب

أوَّلًا : مفهوم حقوق الإنسان.

هي مجموعة الحقوق التي يتمتع بها الإنسان بوصفه إنسانًا، وأنَّ لكُلِّ إنسانٍ حق التمتع بجميع الحقوق والحريَّات دون تمييزٍ بسبب العنصر، أو اللون، أو الجنس، أو اللغة، أو الدِّين، أو الرَّأي، أو الثروة، أو أيِّ شيءٍ آخر(١).

فمصطلح حقوق الإنسان يشير إلى مجموعة الحقوق اللصيقة بالشخصيَّة الإنسانيَّة التي نصَّت عليها المواثيق الدوليَّة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام (١٩٤٨م) في الولايات المتحدة الأمريكيَّة، والتي يتمتع بها الإنسان، ولا يجوز تجريده منها لأي سببٍ كان(٢).

ثانيًا : مرتكزات حقوق الإنسان الأساسيَّة في الإسلام.

لم تعرف البشريَّة على مدار مراحل تاريخها منذ هبط آدم عليه السلام إلى الأرض وإلى يومنا هذا دِينًا مثل دِين الإسلام، الذي كرَّم الإنسان، ورفع قدره، وأعلى شأنه، ووضح ذلك في القرآن الكريم حيث قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة غافر:٦٤]، وكان هذا أعظم تكريمٍ للإنسان، فقد صوَّره الله عز وجل في أجمل هيئةٍ وأحسن صورةٍ، كما قال جل جلاله : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [سورة التين:٤]، وقال سبحانه وتعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [سورة الانفطار:٦-٨]،

---

(١) انظر : «مفهوم حقوق الإنسان» لحسين السرَّاج (ص٥).

(٢) انظر : المرجع السَّابق (ص٦).

وجاء ذلك صريحًا في قول الله ﷻ : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [سورة الإسراء:٧٠]، وفيما يأتي بيانٌ لمرتكزات حقوق الإنسان في الإسلام :

١- الحقُّ في حريَّة الرَّأي والفكر.

حيث دعا الإسلام إلى حريَّة الفكر والتفكُّر، وخلَّص العقل مِن سلطان الماضي وتحكُّم الآباء، واستعباد العُرف والتقاليد، وأمر بالنظر في عجائب الكون، وضرب في ذلك أمثلةً تتفتَّح لها الأذهان، فقال ﷻ : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِيٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [سورة الروم:٨]، وقال ﷻ : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [سورة الأعراف:١٨٥]، وقال ﷻ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [سورة آل عمران:١٩١]، وهذا هو التفكُّر المحمود الذي يدعو الإنسان إلى معرفة خالق السَّموات والأرض، ويزيده إيمانًا به، ويشكره على نعمه ﷻ.

٢- الحق في المساواة بين المسلمين.

إنَّ الناس جميعًا سواسيةٌ أمام الشريعة الإسلاميَّة كما قال ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [سورة النساء:١]، وقوله ﷻ : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [سورة الزلزلة:٧-٨]، وقوله ﷺ : «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى»(١)، فالناس جميعًا سواسيةٌ أمام الشريعة الإسلاميَّة، ولا تمايز بين

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» برقم : (٢٣٤٨٩)، والطبراني في «المعجم الأوسط» برقم : (٤٧٤٩)، والبيهقي في «شُعَبِ الإيمان» برقم : (٤٧٧٤) مِن حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وقال عنه العلَّامة الألباني رحمه الله : حديث «صحيح» برقم : (٢٧٠٠)، «السلسلة الصحيحة» (٤٤٩/٦).

الأفراد في تطبيقها عليهم، كما قال ﷺ : «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»(١).

٣- الحق في إقامة العدل بين الناس.

جاء الإسلام بالعدل والقسط بين الناس، وهذا مِن الثوابت التي يدعو إليها هذا الدِّين القويم، فهو المقصد الأوَّل للشريعة الإسلاميَّة في إقامة العدل بين جميع الخلق، كما قال ﷻ : ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ [سورة المائدة:٤٩]، وقال ﷻ : ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ﴾ [سورة المائدة:٤٢]، وقال ﷻ : ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ [سورة النساء:٥٨](٢).

ثالثًا : مقارنةٌ بين حقوق الإنسان في الإسلام والغرب.

إنَّ حقوق الإنسان في الإسلام تستند على الوحي الإلهي، فلا تتغيَّر بتغيُّر الزمان ولا تتبدَّل بتبدُّل الظروف والأحوال، كما أنها شاملةٌ وعامَّةٌ ومظلَّتها فوق الجميع، فحقوق الإنسان في الإسلام شملت الرجال والنساء والأطفال، كما شملت المسلمين وغير المسلمين في داخل دولة الإسلام وخارجها؛ فحقوق الإنسان في الإسلام ليست منحةً مِن حاكمٍ، أو قرارًا صادرًا مِن سلطةٍ، أو منظَّمةٍ دوليَّةٍ، وإنما هي حقوقٌ ملزمةٌ بحُكم مصدرها الإلهي، لا تقبل الحذف ولا النسخ ولا التعطيل، ولا يُسمح بالاعتداء عليها، ولا يجوز التنازل عنها.

أمَّا حقوق الإنسان في الغرب فقد جاءت وثيقتها بعد معارك وصراعاتٍ عسكريَّةٍ وفكريَّةٍ واجتماعيَّةٍ امتدَّت لقرونٍ طويلةٍ، جاءت تحت ضغط ظروفٍ استثنائيَّةٍ، وتشكَّلت عبر تكريس ثقافة المنتصر في آخر هذه الصراعات الأُمميَّة؛ وهي الحرب العالميَّة الثانية والتي أودت بحياة ٥٠ مليون إنسانٍ، ودمَّرت العديد مِن الدول تدميرًا شاملًا؛ لذلك وضع الغرب مواثيق حقوق الإنسان وسَنُّوا له القوانين الوضعيَّة؛ لكي يخفون

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» - كتاب الحدود وما يحذر مِن الحدود - باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع - برقم : (٦٧٨٧)، ومسلم في «صحيحه» - كتاب الحدود - باب قطع السَّارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود - برقم : (١٦٨٨).

(٢) انظر : «حقوق الإنسان في الإسلام» لعلي وافي (ص١٦-٢٣).

جرائمهم التاريخيَّة والسياسيَّة والاجتماعيَّة البشعة، وإرثهم الدَّموي في انتهاك حقوق الإنسان عبر تاريخهم الدَّموي المشؤوم، وفيما يأتي بيان مقارنةٍ بين حقوق الإنسان في الإسلام والغرب :

١- أنَّ حقوق الإنسان في الشريعة الإسلاميَّة : هي هبةٌ مِن الله ﷻ للإنسان، مما جعل هذه الحقوق منوطةً بالمفهوم الشرعي لها، وليست خاضعةً لأيِّ تفسير كائنٍ مَن كان إلَّا ضمن الضوابط الشرعيَّة المعتبرة، فهي مكفولةٌ بالنص الشرعي مِن الله ﷻ لكُلِّ إنسانٍ على وجه الأرض، كما قال ﷻ : ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١﴾ [سورة الإنسان:١]، فهي حقوقٌ جاءت مِن لدن حكيمٍ خبيرٍ، كما قال ﷻ : ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٤﴾ [سورة الملك:١٤].

أمَّا حقوق الإنسان في الفكر الغربي : فهي حقوقٌ ارتبطت بالقوانين الوضعيَّة التي سَنُّوها للإنسان الغربي فقط، مما أدَّت إلى جعل هذه الحقوق للإنسان الغربي وليست حقوقًا لكُلِّ البشر، وإن ادَّعى الغرب ومَن يُمثِّل ثقافته غير ذلك؛ لأنَّ الواقع قد أثبت وبرهن على أنَّ هذه القوانين التي سَنُّوها قد وضعوها لأنفسهم، بينما غيرهم مِن الناس ليست لهم حقوقٌ يُنظر فيها، بل يتعاملون مع غيرهم كأنهم حيواناتٍ لا قيمة لهم، مع تعاملهم كذلك بالعنصريَّة المقيتة مع غيرهم كتعاملهم مع المسلمين، وأصحاب البشرة السوداء.

٢- أنَّ حقوق الإنسان في الإسلام : هي حقوقٌ شموليَّةٌ لكُلِّ البشر بغض النظر عن عرقهم، أو جنسهم، أو لونهم، أو لسانهم، أو مكانهم، كما قال ﷻ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ۝١٣﴾ [سورة الحجرات:١٣].

أمَّا حقوق الإنسان في الفكر الغربي : فهي مرتبطةٌ بمبدأ الحريَّة، وجعلت مِن مسؤوليَّات الدول حماية الحريَّات دون رعايةٍ لشؤون الآخرين، أو احترام خصوصيَّاتهم فقط، مما يجعل هذه الحقوق نظريَّةً لا واقعيَّةً؛ لذلك فإنَّ هذه التشريعات والقوانين التي وضعوها تتيح للفرد الحريَّة في مزاولة كُلِّ ما يُحقِّق رغباته دون قيدٍ أو شرطٍ مِن دِينٍ، أو خُلُقٍ قويمٍ، أو عُرْفٍ صحيحٍ؛ وبهذا أُبيحت العلاقات الجنسيَّة المحرَّمة، كما أُبيح الإلحاد والزندقة والمعاصي والفجور بشتَّى أنواعها.

٣- أنَّ حقوق الإنسان في الشريعة الإسلاميَّة : هي حقوقٌ شاملةٌ ومنسجمةٌ مع الفطرة الإنسانيَّة بجميع جوانبها؛ حيث جاءت حقوق الإنسان الشرعيَّة مفصلةً تفصيلًا بديعًا، واضحًا غاية الوضوح؛ ليلائم عموم الأفراد، والجماعات، والعصور مِن نحو تحريم قتل النفس إلَّا بالحق، وتحريم الزنا، وحماية الأعراض، والحريَّات الخاصَّة، وتحريم الربا، والاحتكار، وتحريم الغش، وتحريم الظلم بشتَّى صوره، كما رتَّبت الشريعة الإسلاميَّة على المخالفين الذين يعتدون على الحُرمات وحقوق الآخرين عقوباتٍ زاجرةٍ تحول دون ضياع تلك الحقوق؛ وذلك لكي تستقيم الحياة، وينعم الناس بالأمن والأمان.

أمَّا حقوق الإنسان في الفكر الغربي : فهي حقوقٌ تُركِّز على المبادئ الاقتصاديَّة والسياسيَّة، والنفعيَّة، بينما لا تُركِّز على الجوانب الاجتماعيَّة والإنسانيَّة والأُسريَّة؛ حيث إنهم فتحوا في المجتمع باب الإباحيَّة التي انتهكت كيان الأُسر، ودمَّرت المجتمع، وشرَّدت الأطفال، واستباحت الأعراض، وانتهكت الحقوق(١).

(١) انظر : «حقوق الإنسان بين الإسلام والغرب» لأحمد عبده عوض (ص١٠٣-٢٥٩).

حَقُّ الحريَّة
المراد به، وأنواعه وتأصيله في الشريعة الإسلاميَّة، وضوابطه

أوَّلًا : المراد بحقِّ الحريَّة في الإسلام.

هي التصرُّف في الأُمور المشروعة مِن غير اعتداءٍ على الآخرين وعلى حقوقهم، فيكون ذلك مقيَّدًا بالشرع وأوامره ونواهيه التي تهدف إلى جلب الخير، والابتعاد عن الشر(١).

ثانيًا : أنواع حقِّ الحريَّة وتأصيلها في الإسلام.

كفلت الشريعة الإسلاميَّة أنواعًا مِن الحريَّات التي أصَّلتها تأصيلًا شرعيًّا يتلاءم مع فطرة البشر، منها ما يأتي :

١- حريَّة التملُّك.

وتشمل هذه حريَّة التملُّك للفرد؛ لأنَّ الإنسان مفطورٌ على حب التملُّك، كما قال ﷻ : ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾﴾ [سورة آل عمران:١٤]، كما حذَّرت الشريعة مِن الطغيان الذي قد يسببه المال، كما قال ﷻ : ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾﴾ [سورة العلق:٦-٧]، وقد أمر الإسلام بالاعتدال في الإنفاق مِن غير إسرافٍ أو تبذيرٍ، كما قال ﷻ : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الإسراء:٢٩]، فالمال في نظر الإسلام هو أمانةٌ عند الإنسان، كما قال ﷻ : ﴿وَأَنفِقُوا

---

(١) انظر : «الإسلام ومفهوم الحريَّة» لحوريَّة الخطيب (ص١٦).

﴿مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [سورة الحديد:٧]، ومرهونٌ بمصلحة الأُمَّة وانتفاعها، فعندما يكون الإنسان سفيهًا، أو جاهلًا بقيمة ما يملك، ولا يعرف التصرف فيه بشكلٍ صحيحٍ؛ فتُسلب منه حينئذٍ حريَّة التصرف فيه، كما قال ﷻ : ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾﴾ [سورة النساء:٥]، كما أباح الإسلام البيع والشراء والتجارة، كما قال ﷻ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [سورة النساء:٢٩]، فالشريعة الإسلاميَّة راعت مصالح البشر، ووجَّهت فطرتهم التوجيه السليم.

٢- الحريَّة الشخصيَّة.

وتشمل هذه الحريَّة حق التنقُّل مِن مكانٍ إلى آخر مِن غير قيودٍ لهذه الحريَّة، ومنها ما هو مقيَّدٌ بالمصلحة العامَّة؛ كما فعل عمر بن الخطاب ﷺ بمنع بعض كبار أصحابه الكرام ﷺ مِن الخروج مِن المدينة لما في ذلك مِن المصلحة العامَّة؛ وذلك حتى يتمكَّن مِن الرجوع إليهم ومشاورتهم إذا لزم الأمر، ومِن الحريَّات الشخصيَّة أيضًا حق السَّفر إلى الخارج سواءً كان ذلك للتجارة، أو للتطبُّب، أو للزيارة، أو لطلب العلم، أو لإغاثة الفقراء والمنكوبين، كما قال ﷻ : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الملك:١٥]، وقوله ﷻ : ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة العنكبوت:٢٠].

٣- الحريَّة الفكريَّة.

وتشمل هذه حريَّة الرَّأي والتفكير، وحريَّة التعلُّم والتعليم، فالإسلام كفل للناس حق الابتكار والاختراع، وأعطاهم حريَّة اختيار نوع التعليم الذي يفيد الناس، فللمسلم حريَّة ما يريده مِن التعليم؛ فله أن يطلب العلم الشرعي النظري، وله أن يطلب العلم التجريبي العملي، كما قال ﷻ : ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة التوبة:١٠٥]، وكما

قال ﷻ في حق نبيِّه داود عليه السلام : ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة الأنبياء: ٨٠](١).

ثالثًا : ضوابط حقِّ الحريَّة في الإسلام.

هناك ضوابطٌ وضعتها الشريعة الإسلاميَّة للحريَّة؛ وذلك حتى تستقيم الحياة، ولا يحصل خلل في منظومتها، منها ما يأتي :

١- عدم تهديدها لسلامة النظام العام، وأن لا تُفوِّت حقًّا أعمَّ منها،؛ وذلك مِن خلال النظر إلى قيمتها ونتائجها، وأن لا تؤدي إلى إلحاق ضررٍ بالآخرين.

٢- عدم إهمالها للصالح العام على حساب الجانب الفردي، فيحقُّ للإنسان التصرف على أكمل صورةٍ وأوسع نطاقٍ مِن غير إهماله لمصالح الجماعة العامَّة، فتكون مصلحة الفرد مقيَّدة.

٣- عدم ترك الحريَّة على إطلاقها، بل تقييدها بالحلال والحرام، فيجوز للإنسان فعل ما شاء إلَّا أن يكون مُحرَّمًا، فحريَّة التفكير مكفولةٌ في الإسلام، وكذلك يجوز له بيع أو شراء ما شاء ما لم يكن في ذلك غشٌّ، أو خداعٌ، أو ربًا، بالإضافة إلى عدم الخروج عن قيود الحريَّة التي وضعتها الشريعة الإسلاميَّة(٢).

(١) انظر : «الإسلام ومفهوم الحريَّة» لحوريَّة الخطيب (ص٢٠-٢٥).

(٢) انظر : «المذاهب الفكريَّة المعاصرة ودورها في المجتمعات، وموقف المسلم منها» لغالب عواجي (١١٨٨/٢).

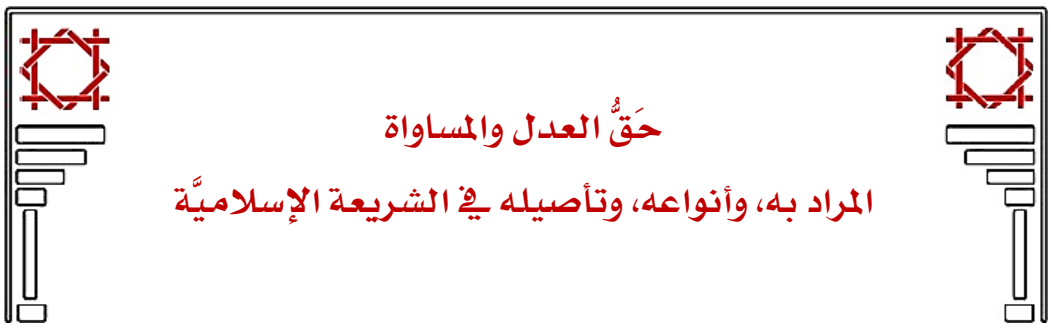

حَقُّ العدل والمساواة
المراد به، وأنواعه، وتأصيله في الشريعة الإسلاميَّة

أوَّلًا : المراد بحقِّ العدل والمساواة في الإسلام.

هو مبدأٌ يحكم كُلَّ فئات المجتمع مِن الفرد إلى الدولة، ويُطبَّق على المسالم وعلى العدو، ويُطبَّق في كُلِّ المجالات السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والأُسريَّة والقضائيَّة؛ وذلك بأن يحصل كُلُّ مَن تشابهت أوصافهم على نفس الحقِّ بدون تفريقٍ بينهم(١).

ثانيًا : أنواع حقِّ العدل والمساواة وتأصيله في الإسلام.

لقد أرسى الإسلام قواعد العدل والمساواة بين الناس في جميع شؤونهم وحياتهم، وذكَّرهم بأصل نشأتهم، وأنهم خُلقوا مِن نفسٍ واحدةٍ، كما قال ﷻ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [سورة النساء:١]؛ وذلك حتى لا يبغي بعضهم على بعضٍ، أو يطغى بعضهم على بعضٍ، وتظهر أهميَّة العدالة والمساواة في الإسلام بأنها الغاية مِن إنزال الكتب وإرسال الرُّسُل عليهم السلام، كما قال ﷻ : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾ [سورة الحديد:٢٥]، كما وجَّه الإسلام إلى إقامة العدل والقسط بين الناس دون تفريقٍ بينهم، كما قال ﷻ : ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ﴾ [سورة النساء:٥٨]، وقوله ﷻ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [سورة المائدة:٨]، وقوله ﷻ : ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة المائدة:٤٢]،

---

(١) انظر : «أصول الدَّعوة الإسلاميَّة» لعبد الكريم زيدان (ص٦٣).

وقوله ﷻ : ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [سورة الأنعام:١٥٢]، وفيما يأتي بيانٌ لبعض أنواع العدل والمساواة في الإسلام :

١- العدالة الاقتصاديَّة.

تقوم العدالة الاقتصاديَّة في الإسلام على إشباع حاجات الفرد والجماعة، وقد أوجبت الشريعة الإسلاميَّة أداء حقوق الفقراء بالزكاة والصدقات حتى لا يبقى في المجتمع الإسلامي عائلًا أو محتاجًا، ويحصل مِن خلالها التكافل الاجتماعي، كما قال ﷻ : ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة التوبة:٦٠]، وكذلك إعطاء الدولة أموالًا مِن بيت المال لمساعدة الفقراء والمحتاجين؛ لكي تضمن العدل والمساواة بين أفراد وطبقات الشعب.

٢- العدالة الاجتماعيَّة.

تقوم العدالة الاجتماعيَّة في الإسلام على إقامة الحدود بين أفراد المجتمع دون تمييزٍ بينهم، كما قال ﷺ : «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»(١)؛ لذا تقوم العدالة الاجتماعيَّة في الإسلام على نُصرة الضعيف، وأنه لا يضره ضعفه ما دامت قوة المجتمع والقانون معه، فالقوي لا ينفعه ماله وسلطانه ما دامت قوة المجتمع والقانون ضده؛ ولذلك فرض الإسلام التساوي بين كُلِّ أفراد المجتمع أمام القضاء، ومنع أيِّ محاباةٍ أو استثناءٍ في حقوق الله ﷻ.

٣- العدالة السياسيَّة.

تقوم العدالة السياسيَّة في الإسلام بإشراك جميع مَن يصلح مِن أفراد المجتمع في إدارة شؤون البلاد دون إقصاءٍ لأيٍّ منهم مِن دون سببٍ شرعي مقبولٍ؛ ولأهميَّة ذلك قيل : «إنَّ الله يقيم الدولة العادلة ولو كانت كافرةً، ولا يقيم الدولة الظالمة ولو كانت مسلمةً». ومِن مظاهر العدالة السياسيَّة في الإسلام تطبيق القانون والمساءلة مِن ولاة

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» - كتاب الحدود وما يحذر مِن الحدود - باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع - برقم : (٦٧٨٧)، ومسلم في «صحيحه» - كتاب الحدود - باب قطع السَّارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود - برقم : (١٦٨٨).

الأمور على المسؤولين وغيرهم إذا قصَّروا في الأمانات والحقوق التي أُنيطت بهم، أو أهملوا في حقِّها دون مجاملةٍ لهم، كما قال ﷻ في حقِّ نبيِّه داود عليه السلام : ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة ص:٢٦].

٤- العدالة القانونيَّة.

تقوم العدالة القانونيَّة في الإسلام بأن يُطبَّق القانون على كُلِّ أفراد المجتمع دون تمييزٍ بينهم، فتُطبَّق الحدود على الجميع، كما قال ﷺ : «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»(١)(٢).

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» - كتاب الحدود وما يحذر مِن الحدود - باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع - برقم : (٦٧٨٧)، ومسلم في «صحيحه» - كتاب الحدود - باب قطع السَّارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود - برقم : (١٦٨٨).

(٢) انظر : «حقوق الإنسان بين الإسلام والغرب» لأحمد عبده عوض (ص١٢٤-١٣٠)، و«أصول الدَّعوة الإسلاميَّة» لعبد الكريم زيدان (ص١١١)، و«بناء المجتمع الإسلامي» لنبيل السمالوطي (ص٢٤٦-٢٤٧).

حقوق المرأة

مقدِّمةٌ عن وضع المرأة في التاريخ البشريِّ

عاشت المرأة في مسيرة تاريخها البشري قبل الإسلام ألوانًا مِن العذاب والامتهان والابتذال والاحتقار، فعاشت ذليلةً مهينةً عند أصحاب الحضارات القديمة، وفيما يأتي استعراضٌ عن وضع المرأة في التاريخ البشري :

١- مكانة المرأة عند اليونانيين.

كانت المرأة في اليونان في أغلب أحيانها مسلوبة الحريَّة والمكانة، وكانت الشرائع اليونانيَّة لا تكاد تحميها مِن أيِّ خطرٍ يهدد كرامتها، بل وحتى حقَّها في الحياة، ففي مدينة إسبرطة كان الآباء يقتلون سبع بناتٍ مِن كُلِّ عشرٍ يولدن لهم، والذريَّة مِن الذكور كان لها مكانتها وتُعطى الفرصة للتعليم والتثقيف، أمَّا الإناث فقد كُنَّ يوضعن في العزلة والحماية بعد الزواج، ويعشن في ركنٍ مِن أركان بيت الزوجيَّة، وكانت وظيفتهن بالدرجة الأولى هي إنجاب الأطفال، وإذا ما فشلت إحداهن في إنجاب الذريَّة فإنَّ نصيبها العودة إلى بيت والدها(١).

٢- مكانة المرأة عند الرومان.

عاشت المرأة في روما تحت سيطرة الذكور؛ سواءً كان والدها، أو زوجها، أو أخوها، وعند قدماء الرومان كان انتقال ملكيَّة المرأة مِن أبيها إلى زوجها يتم بطريق البيع بالقبض، وبها يدفع الزوج الثمن لقاء الحصول على الزوجة، مثل أيِّ سلعةٍ تُباع وتُشترى، وكان الرومان إبَّان العصور الوسطى يتفنَّنون بتعذيب المرأة إلى درجة الموت دون جريمةٍ اقترفتها، فمِن أشكال التعذيب التي كانت تمارس على النساء صب القطران على أجسادهن، ومِن ذلك ربط مجموعاتٍ منهن في ساريةٍ تتقد تحتها نارٌ هادئةٌ لعدَّة

---

(١) انظر : «المرأة عبر التاريخ» لعبد المنعم جبري (ص١٩٧).

أيامٍ، فكانت المرأة أُلعوبةً بيد الرجل يحبسها وقت ما يريد، ويُطلق سراحها وقت ما يريد(١).

٣- مكانة المرأة عند الهنود.

كانت المرأة في الهند محتقرةً ومبتذلةً، وكانوا يُلزمون الرجل بأن يغتصب زوجة المستقبل بالقوة، أو يحصل عليها بمقابل مبلغٍ مِن المال، وكانت المرأة في قانون ماني، هي الشر بعينه، وإذا مات زوجها فتُحرق معه على موقدٍ واحدٍ عندما يموت، وقد دامت هذه العادة القديمة حتى القرن السَّابع عشر الميلادي، وكانوا يقومون بوأد البنات، فهم يعتبرون الإناث في النهاية سيتزوجن ويلتحقن بخدمة الزوج وأهله(٢).

٤- مكانة المرأة عند الصينيين.

عاشت المرأة في الصين حياةً مريرةً، فقد أصبحت معاملة النساء أكثر قسوةً؛ حيث يقوم أهلها بوضع أحذيةٍ حديديَّةٍ أو معدنيَّةٍ بأرجل الفتيات الصغار حتى يكبرن ويصبحن بالغاتٍ حتى لا تستطيع الفتاة الابتعاد كثيرًا عن المنزل بل تبقى كالدجاجة بجواره، والمقصود بذلك حتى تبقى محافظةً على عفَّتها وشرفها ببقائها بجوار المنزل(٣).

٥- مكانة المرأة عند الفُرس.

كانت المرأة عند الفُرس مِلْكًا مشاعًا يتناولها الجميع ويطؤونها، وقد أفسدت المزدكيَّة المرأة وأهانتها إهانةً كبيرةً، وجعلوها سلعةً رخيصةً يتناهبونها بلا رحمةٍ أو خُلُقٍ أو عطفٍ، فأباحوا لهم نكاح المحارم، والزنا، والاختلاط بين الرجال والنساء(٤).

٦- مكانة المرأة عند اليهود.

كانت المرأة عند اليهود مهانةً ومنبوذةً، وكانوا يعتبرونها أصل الشر في العالم، أو هي المسؤولة عن الخطيئة البشريَّة الأولى؛ لأنها - بزعمهم - هي السبب في خروج آدم عليه السلام مِن الجنَّة، وكانت المرأة عند اليهود تُباع وتُشترى، وإذا باع رجلٌ ابنته أَمَةً، لا

---

(١) انظر : «المرأة عبر التاريخ» لعبد المنعم جبري (ص٤٨).

(٢) انظر : المرجع السَّابق (ص١٤١).

(٣) انظر : المرجع السَّابق (ص١٤٢).

(٤) انظر : المرجع السَّابق (ص١٤٧).

تخرج كما يخرج العبيد، ويعتقد اليهود أنَّ نجاسة ولادة الأنثى ضعف نجاسة ولادة الذَّكر، فإذا حبلت امرأةٌ وولدت ذكرًا تكون نجسةً سبعة أيام، ثم تقيم ثلاثةً وثلاثين يومًا في دم تطهيرها، وإن ولدت أنثى، تكون نجسةً أسبوعيْن، ثم تقيم ستةً وستين يومًا في دم تطهيرها(١).

٧- مكانة المرأة عند النصارى.

كانت المرأة في النصرانيَّة رمزًا للخطيئة والآثام، حيث يعتقد النصارى أنَّ حوَّاء هي التي أخطأت أوَّلًا، ثم أغوت آدم عليه السلام فانقاد وراءها وأخطأ ثانيًا، كما كانوا ينظرون إلى المرأة على أنها أقذارٌ ونتانةٌ ونجاسةٌ(٢)

٨- مكانة المرأة عند العرب في الجاهليَّة.

عاشت المرأة في الجاهليَّة حياةً عصيبةً؛ حيث كانت بعض القبائل في الجاهليَّة تَعُدُّ المرأة كالسَّائمة؛ فهي تورث كما تورث السوائم، ويتصرَّف بها الذي يرثها كيفما يشاء، ويتزوجها أو يرغمها على البغاء والفجور، كما كانوا يُكرهون البنات خشية أن تأتيهم بالعار، وأحدثوا عادة وأد البنات، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة النحل:٥٨-٥٩]، وكانوا يحرمونها مِن حقِّها في الميراث سواءً مِن أبيها أو زوجها، وكانوا يعضلونها في الزواج، ويحرمونها مِن صداقها(٣).

٩- مكانة المرأة في الإسلام.

وأمام هذا التاريخ المظلم جاء الإسلام ووضع المرأة في مكانها الطبيعي، وأعاد إليها حقوقها وأمانتها التي سُلبت منها تحت ظلام الجهل والعادات والتقاليد الفانية، حيث أكَّد الإسلام على وحدة الأصل والنشأة بين الذَّكر والأنثى، فقال عزَّ وجلَّ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [سورة النساء:١].

---

(١) انظر : «المرأة عبر التاريخ» لعبد المنعم جبري (ص١٦٠).

(٢) انظر : المرجع السَّابق (ص١٦٦).

(٣) انظر : المرجع السَّابق (ص١٧٠).

وبيَّن الإسلام أنَّ المرأة مكلَّفةٌ مثل الرَّجل في الواجبات والفرائض، فقال ﷻ : ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [سورة النحل:٩٧].

ووضع لها بساط الاحترام والتقدير والتكريم والمودَّة، فأعطاها حق الصداق في نكاحها، كما قال ﷻ : ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ﴾ [سورة النساء:٤]، وأوجب على الزوج الإنفاق عليها، كما قال ﷻ : ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾﴾ [سورة الطلاق:٦].

ومنحها حق الميراث، كما قال ﷻ : ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾﴾ [سورة النساء:٧].

وأمر بحُسن العشرة والتعامل معها، كما قال ﷻ : ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [سورة النساء:١٩]، وقوله ﷺ : «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ»(١).

ونهى الإسلام عن ضربهن أو إيذائهن، فعن عبد الله بن زمعة ﷺ عن النبي ﷺ قال : «... وَذَكَرَ النِّسَاءَ فَقَالَ : «يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ يَجْلِدُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ، فَلَعَلَّهُ يُضَاجِعُهَا مِنْ آخِرِ يَوْمِهِ»(٢)(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» - كتاب أحاديث الأنبياء - باب قول الله ﷻ : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾ [سورة البقرة:٣٠] - برقم : (٣٣٣١)، ومسلم في «صحيحه» - كتاب الرضاع - باب الوصيَّة بالنساء - برقم : (١٤٦٨).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» - كتاب تفسير القرآن - سورة والشمس وضحاها - برقم : (٤٩٤٢)، ومسلم في «صحيحه» - كتاب الجنَّة وصفة نعيمها وأهلها - باب النار يدخلها الجبَّارون والجنَّة يدخلها الضعفاء - برقم : (٢٨٥٥).

(٣) انظر : «حقوق الإنسان بين الإسلام والغرب» لأحمد عبده عوض (ص١٤٢-١٤٣).

وتتجلَّى صور تكريم الإسلام للمرأة، وتقدير حالها وظروفها في العديد مِن الأمور؛ منها :

١- أنه سُمِّيت في الإسلام سورٌ مِن القرآن الكريم بأسماء المرأة؛ إمَّا بصيغة الجمع كسورة «النساء»، أو بصيغة الفرد كسورة «مريم».

٢- أنه ذُكر في الإسلام أسماء نساءٍ فُضلياتٍ مؤمناتٍ في القرآن الكريم وفي السُّنَّة النبويَّة؛ كأُمِّ موسى عليه السلام، كما قال ﷻ : ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [سورة القصص:٧]، وامرأة فرعون آسية بنت مزاحم، كما ﷻ : ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ [سورة التحريم:١١]، وامرأة عمران، كما قال ﷻ : ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة آل عمران:٣٥]، ومريم بنت عمران، كما قال ﷻ : ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [سورة التحريم:١٢]، وهاجر أُمِّ إسماعيل عليه السلام، كما قال ﷺ : «يَرْحَمُ اللهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ» أَوْ قَالَ : «لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ الْمَاءِ لَكَانَتْ عَيْنًا مَعِينًا»(١)، وقوله ﷺ : «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا : مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»(٢).

٣- أنه جُعل في الإسلام تغسيل المرأة وتكفينها على يد زوجها أو على النساء؛ مراعاةً لحُرمتها وعفَّتها.

٤- أنه حُرِّم في الإسلام نكاح المرأة دون وليٍّ وشهودٍ حتى لا تُتهم في عرضها.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» - كتاب الشرب والمساقاة - باب مَن رأى أنَّ صاحب الحوض والقربة أحق بمائه - برقم : (٢٣٦٨).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» - كتاب فضائل الصحابة - باب فضل عائشة رضي الله عنها - برقم : (٣٧٦٩)، ومسلم في «صحيحه» - كتاب فضائل الصحابة - باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها - برقم : (٢٤٣١).

٥- أنه جُعل في الإسلام حدَّ مَن قذف امرأةً بغير دليلٍ الجلد ثمانين جلدةً؛ وذلك لردع أيِّ اتهامٍ دون بينةٍ.

٦- أنه جُعل في الإسلام مَن يُقتل في سبيل الدفاع عن عرضه وشرفه شهيدًا؛ وذلك تكريمًا للمرأة ورفعًا لمكانتها(١).

(١) انظر : «مكانة المرأة في الإسلام» للشيخ صالح الفوزان (ص١٠-٧٠).

الدَّعوة إلى تحرير المرأة في الغرب
جذورها الفكريَّة، العوامل التي أسهمت في ظهورها، تطورها، آثارها

أوَّلًا : الجذور الفكريَّة لدعوة تحرير المرأة في الغرب.

ظهرت فكرة تحرير المرأة في أوروبا في القرن الخامس عشر الميلادي، حيث كانت تعاني المرأة ولا تزال أنواع الاضطهاد والظلم، والنظرة الدُّونيَّة لها، والتي استمرت حقبًا زمنيَّةً طويلةً، شملت عصور التخلُّف والظلام التي عاشتها أوروبا في ظل سيطرة الكنيسة التي كانت تمسك بزمام الأمور، وتفرض قيودًا كثيرةً على المرأة مما أسفر عنه ردَّة فعلٍ تجاه الكنيسة، ورجال الدِّين، تمثَّل ذلك في الانسلاخ مِن ربقة الكنيسة، والثقافة الاجتماعيَّة السائدة، وارتفاع نداءات المطالبة بالانعتاق والحريَّة؛ وذلك بعد أن تخلَّصت العقول مِن سلطة الأوهام والظنون والخرافات، فرفعت شعارات الحريَّة ونالتها، واستمرت في اكتساب الحقوق والرفعة في المكانة، ثم تبلورت هذه النداءات في حركاتٍ منظَّمةٍ تبنتها بعض الجهات والمؤسسات فلا تكاد تخلو عاصمةٌ مِن عواصم أوروبا وأمريكا مِن جمعيَّةٍ للنساء، همُّها أن تطالب بحقوق المرأة؛ وذلك بإصدار بعض القوانين الفاعلة والتي مكَّنت المرأة مِن نيل بعض حقوقها(١).

ثانيًا : العوامل التي أسهمت في ظهور دعوة تحرير المرأة في الغرب.

هناك عدَّة عوامل أسهمت في ظهور دعوة تحرير المرأة في الغرب، منها ما يأتي :

١- تعسُّف الكنيسة الأوروبيَّة في انحيازها إلى الرَّجل، وتصور الكنيسة الخاطئ عن المرأة، والنظرة الدُّونيَّة لها، ومنعها مِن حقوقها في الإرث، وظلمها في الزواج، وعدم الطلاق، وغيرها مِن الإساءات.

٢- ضيق المعيشة والتدهور الاقتصادي الذي خيَّم ظلاله في أوروبا في العصور

---

(١) انظر : «مفهوم تحرير المرأة في الفكر الغربي - دراسة نقديَّة -» لندى الزهراني (ص٣٥-٣٦).

الوسطى بسبب الإقطاعيين، مما جعل البعض يُجبر زوجته للعمل في خارج بيتها مع الرجال مِن أجل تحسين الدخل والمعيشة، ومِن ثَمَّ طالبت النساء بعد ذلك بحقوقهن في العمل، وتطور الأمر شيئًا فشيئًا فطالبن بالاستقلال المالي والإنتاج عن الرجال.

٣- الظلم والاستبداد الذي وقع على النساء في أوروبا، حيث كانت القوانين السياسيَّة والقضاء ينحاز دائمًا في صف الرجال، ويمنع النساء مِن أبسط حقوقهن، أو السَّماع لهن ولمطالبهن، مما أدَّى ذلك إلى ظهور دعواتٍ للمساواة بين الرَّجل والمرأة، وإعطاء حقوقها الخاصَّة(١).

ثالثًا : تطور دعوة تحرير المرأة في الغرب.

تطوَّرت دعوة تحرير المرأة في الغرب تطوُّرًا ملحوظًا؛ وذلك بحسب العوامل والمستجدَّات التي طرأت على المجتمع الأوروبي، وفيما يأتي بيانٌ لأهم هذه التطورات :

١- مرحلة ظهور عصر النهضة.

وكانت هذه المرحلة في النصف الثاني مِن القرن الخامس عشر الميلادي، وهي الفترة التي تمَّ الانتقال فيها مِن العصور الوسطى إلى العصور الحديثة، وكان مِن شعارها هو إحياء حقوق الإنسان، والمساواة، والحريَّة، ونبذ الكنيسة، وصاحب هذه المرحلة دعواتٍ تنادي بمساواة المرأة بالرَّجل.

٢- مرحلة ظهور فكرة المؤتمرات.

وكانت هذه المرحلة هي البذرة الأولى لفكرة المؤتمرات، وهي فكرةٌ مستقاةٌ مِن لجنة مركز المرأة، والتي أنشأتها هيئة الأُمم المتحدة الأمريكيَّة في عام (١٩٤٦م)، وكانت هذه هي نقطة الانطلاق والبداية الفعليَّة لسلسلةٍ متصلةٍ مِن الإعلانات والمؤتمرات ذات العلاقة المباشرة أو غير المباشرة بقضيَّة المرأة، والتي مِن أهمها : الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر في عام (١٩٤٨م)، والذي اشتمل على كافة الحقوق الإنسانيَّة؛ المدنيَّة، والسياسيَّة، والاقتصاديَّة، والاجتماعيَّة، والثقافيَّة التي يجب أن يتمتَّع بها كُلُّ فردٍ رجلًا كان أو امرأةً.

---

(١) انظر : «قضيَّة تحرير المرأة في الغرب، أصولها الفلسفيَّة، وآثارها على العالم الإسلامي» لإيمان العسيري (ص٥٧-٦٦).

٣- مرحلة عولمة الدَّعوة إلى تحرير المرأة.

وكانت هذه المرحلة محورًا أساسيًّا مِن محاور عمل التجمعات والفعاليَّات الاجتماعيَّة في العالم، ولدى كثيرٍ مِن المنظَّمات والجمعيَّات الحكوميَّة وغير الحكوميَّة التي ترفع لواء الحريَّة والمساواة وحقوق الإنسان وتحرير المرأة، كما أصبح الشغل الشاغل لتلك التجمعات والمنظَّمات السعي لعولمة وتصدير الحضارة الغربيَّة ممثلةً في الحياة الاجتماعيَّة لتلك الدول؛ وذلك مِن خلال الوثائق الدوليَّة وترويجها مِن خلال المؤتمرات الأُمميَّة التي تنعقد بين الحين والآخر في القضايا الاجتماعيَّة، والتي دأبوا على بثها بكُلِّ وسيلةٍ ممكنةٍ، وسعوا جاهدين لتحقيقها على أرض الواقع، وفرضها بالقوة، مستعينين بأمورٍ، منها :

أ- وسائل الإعلام بمختلف أشكالها وأنواعها المقروءة والمسموعة والمرئيَّة؛ مِن قنواتٍ فضائيَّةٍ، وصحفٍ، ومجلَّاتٍ، وكذلك الشبكة العنكبوتيَّة، وغيرها مِن وسائل العولمة الإعلاميَّة.

ب- الاستعانة بمؤسسات الهيمنة الدوليَّة والعولميَّة، وفي مقدِّمتها هيئة الأُمم المتحدة التابعة لها(١).

رابعًا : آثار دعوة تحرير المرأة في الغرب.

كان لدعوة تحرير المرأة في الغرب آثارها السيئة على المجتمعات الأوروبيَّة، وفيما يأتي بيانٌ لأهم هذه الآثار :

١- القضاء على الزواج والأُسرة.

كما هو معلومٌ أنَّ المرأة هي قوام الأُسرة؛ ولهذا سعى أعداء الإنسانيَّة، والذين في قلوبهم مرضٌ إلى تحريرها، وجعلها سلعةً رخيصةً في معرض أصحاب الشهوات والنزعات الشيطانيَّة، حيث حرصوا على أن تخرج المرأة مِن بيتها لتشارك الرجال في أعمالهم جنبًا إلى جنبٍ، سواءً كانت دارسةً أو مدرِّسةً في فصول الدِّراسة المختلطة، أو ممثِّلةً في المسرح، أو مغنيَّةً، أو مذيعةً في وسائل الإعلام المختلفة، سافرةً فاتنةً بصورتها وصوتها،

---

(١) انظر : «قضيَّة تحرير المرأة في الغرب، أصولها الفلسفيَّة، وآثارها على العالم الإسلامي» لإيمان العسيري (ص٧٨)، و«مفهوم تحرير المرأة في الفكر الغربي - دراسة نقديَّة -» لندى الزهراني (ص٣٦-٤١).

وأهملت رعايتها لزوجها كزوجةٍ، ولأولادها كأُمٍّ، ولمنزلها كسيدة بيتٍ، وتغاضت عن روح المرأة التي تشع في حياة الأُسرة، مما تسبَّبت في ضياع كيان الأُسرة وتدميرها وتشتت الأولاد.

٢- ارتفاع معدَّلات البطالة بين الذكور.

إنَّ فتح الباب على مصراعيْه لتحرير المرأة أسهم وبشكلٍ ملحوظٍ في انتشار البطالة وارتفاع معدَّلاتها بين الذكور في الغرب؛ حيث تنادي الحركات التحرُّريَّة (النِّسويَّة) بتمكين النساء مِن وظائف الرجال الخاصَّة والعامَّة، وتفرض على الدول والمجتمعات أن تقبل بذلك، وأن تُسهِّل للنساء الوصول إلى هذه الوظائف، وتناسى القوم أنه ليس مِن الحكمة أن تُعطَّل المرأة عن وظيفتها الكبرى لتحل محل الرجال الذين بدؤوا يخشون مِن اكتساح المرأة لجميع ميادين العمل، وهو الأمر الذي أوقعهم في حمى البطالة، والتي أورثت اختلالًا في المعادلة الاقتصاديَّة، إضافة إلى انتشار المخدرات والأمراض النفسيَّة بسبب الفراغ والبطالة.

٣- التحرُّش الجنسي.

تتعرَّض النساء في الغرب إلى المضايقات والتحرشات الجنسيَّة، وكثيرًا ما تواجهها هذه المعضلة في أماكن عملها المختلطة مع الرجال، وهذه المضايقات والاعتداءات الجنسيَّة على المرأة العاملة في أماكن العمل المختلطة ليست أمرًا جديدًا وطارئًا، بل إنه بدأ منذ التحاق المرأة بالعمل واختلاطها بالرجال، ولقد ساهم ابتزاز المرأة جنسيًّا أثناء عملها.

٤- انتشار الإجهاض.

يُعَدُّ الإجهاض أحد أهم مطالب الحركات التحرُّريَّة النِّسويَّة، وهو إنهاء حملٍ غير مرغوبٍ فيه؛ وذلك حتى لا تفقد المرأة وظيفتها في عملها، فشرَّعوا لها بإسقاط جنينها بالوسائل المختلفة دون مراعاةٍ لأنوثتها كأُمٍّ.

٥- انتشار الأمراض الجنسيَّة المعدية.

حيث سَنَّ العالم الغربي قوانين تبيح الزنا والشذوذ الجنسي مادام الفعل برضا الطرفيْن؛ ولذلك انتشرت جمعيَّات الشاذين جنسيًّا والمرخَّصة رسميًّا، والمدعومة ماديًّا وسياسيًّا، وفشت على إثر ذلك الأمراض الجنسيَّة كالإيدز وغيره، والتي أصبحت تشكل

هاجسًا مقلقًا لهذه الأُمم والمجتمعات حيث إنَّ العلاقة بين انتشار الأمراض الجنسيَّة وبين الاتصال غير الشرعي علاقةٌ طرديَّةٌ(١).

(١) انظر : «مفهوم تحرير المرأة في الفكر الغربي – دراسة نقديَّة –» لندى الزهراني (ص٥٧-٦٢).

ظهور دعوة تحرير المرأة في العالم الإسلامي
عواملها، مظاهرها وصورها، نقدها في ضوء الإسلام

أوَّلًا : ظهور دعوة تحرير المرأة في العالم الإسلامي.

ظهرت دعوة تحرير المرأة في العالم الإسلامي إبَّان الحملات الفرنسيَّة على مِصر باعتبارها أوَّل البلاد العربيَّة والإسلاميَّة احتلالًا مِن قِبَلِ الفرنسيين في الحملة التي قادها نابليون بونابرت عام (١٧٩٨-١٨٠٠م)، حيث كانت هذه هي بداية اتصال الشرق بالغرب، وكان مِن أهداف هذه الحملة هو التركيز على تحرير المرأة المسلمة وإفسادها؛ لتكون نقطة إفساد المجتمعات الإسلاميَّة، وقد عمدت هذه الحملة على إرسال بعثاتٍ دراسيَّةٍ إلى فرنسا، وكان مِن أوائل أولئك المبتعثين مِن مِصر إلى فرنسا هو رفاعة الطهطاوي الذي انبهر بما شاهده في المجتمع الأوروبي أثناء إقامته في باريس، وكان مشرفًا على البعثة العلميَّة التي أرسلها محمد علي باشا لتعلُّم الهندسة والطب والعلوم الحديثة، واختارها مِن طلبة الأزهر، وهذا التأثُّر بالحضارة الغربيَّة واضحٌ أيضًا فيما كتبه الطهطاوي في كتابه «المرشد الأمين» عن كراهية تعدد الزوجات، وقد أثار محمد عبده هذيْن الجانبيْن بعد ذلك في بعض مقالاته التي كان ينشرها في الوقائع الرَّسميَّة، ، وقد قام أحد رُوَّاد التغريب قاسم أمين وهو تلميذ محمد عبده، بالدَّعوة إلى تحرير المرأة، وتمكينها مِن العمل في الوظائف والأعمال العامَّة، وقد كتب كتاب «تحرير المرأة» في عام (١٨٩٩م)، وكتاب «المرأة الجديدة» في عام (١٩٠٠م)، وقد دعا في هذيْن الكتابيْن إلى تشكيل المرأة المسلمة في سلوكها وأفعالها على نمط المرأة الغربيَّة، وقد تناول قاسم أمين في كتابه الأوَّل «تحرير المرأة» أربعة مسائل وهي :

١- الحجاب.

٢- اشتغال المرأة بالشؤون العامَّة.

٣- تعدد الزوجات.

٤- الطلاق.

ثم تبنى قضيَّة تحرير المرأة فريقٌ مِن النساء وعلى رأسهن هدى شعراوي التي قامت بنزع حجابها في الثورة المصريَّة عام (١٩١٩م)، وكذلك صفيَّة زغلول، وغيرهن ممن انبهرن بالحضارة الغربيَّة. ثم توالت بعد ذلك الدَّعوات والمؤتمرات إلى تحرير المرأة في لبنان وسوريا وفلسطين، وانتشرت هذه الدَّعوات النكراء في معظم البلاد الإسلاميَّة، وما زال أعداء الإسلام يُجدِّدونها في كُلِّ حينٍ وآخر(١).

ثانيًا : عوامل ظهور دعوة تحرير المرأة في العالم الإسلامي.

هناك عدَّة عوامل ساعدت في ظهور دعوة تحرير المرأة في العالم الإسلامي، منها ما يأتي :

١- دخول الحملة الفرنسيَّة على مِصر بقيادة نابليون بونابرت عام (١٧٩٨-١٨٠٠م)، واصطحابه النساء السَّافرات الأوروبيَّات تمهيدًا لتحرير المرأة المسلمة.

٢- افتتاح الفرنسيين دُور السينما والمسرح والفن لنقل ثقافة المجتمع الأوروبي الغربي في البلاد الإسلاميَّة التي قاموا باحتلالها.

٣- ترجمة الكتب الغربيَّة التي تحمل أفكارًا علمانيَّة وليبراليَّةً وإلحاديَّةً، والتي هاجمت الدِّين والأخلاق والفضيلة بكُلِّ صراحةٍ ووضوحٍ.

٤- إنشاء الصحف والمجلَّات في البلاد الإسلاميَّة التي اعتنت بالإشادة بالحضارة الغربيَّة وأنها رمز التطور والإنسانيَّة، والتي أسهمت في ترويج حركة تحرير المرأة كمجلَّة «الهلال»، و«العروة الوثقى» و«مجلَّة السفور».

٥- ابتعاث بعض رجال الفكر والأدب للدِّراسة في فرنسا مِن مِصر كرفاعة الطهطاوي وجمال الدِّين الأفغاني ومحمد عبده وقاسم أمين وطه حسين، الذين كرَّسوا جهودهم في نقل الفكر التحرُّري الغربي وتدعيمه؛ لكي يتغلغل داخل المجتمع المصري والإسلامي.

٦- ظهور المذاهب الإلحاديَّة اللادِينيَّة كالشيوعيَّة، والاشتراكيَّة، والدَّاروينيَّة، وغيرها مِن المذاهب الهدَّامة التي اهتمَّت بشكلٍ كبيرٍ بالطلبة والعمَّال والمرأة، والتي

---

(١) انظر : «قضيَّة تحرير المرأة في الغرب، أصولها الفلسفيَّة، وآثارها على العالم الإسلامي» لإيمان العسيري (ص٣٢١-٣٣٣).

ساعدت بالمطالبة بحقوقها في المجتمع.

٧- ظهور حركات «نِسَوِيَّة» اهتمَّت بقضيَّة تحرير المرأة، وكان على رأس هذه الحركات هدى شعراوي التي قامت بنزع حجابها في ثورة (١٩١٩م)، وكذلك صفيَّة زغلول، ودُرِيَّة توفيق اللاتي أسَّسن جمعيَّة «الاتحاد النسائي» في عام (١٩٢٤م) في مِصر ودعون فيه إلى القضاء على الحجاب، وإباحة الاختلاط، وتقييد الطلاق، ومنع الزواج بأكثر مِن واحدةٍ.

٨- دور مصطفى كمال أتاتورك في تدعيم حركة تحرير المرأة في تركيا بعد سقوط الخلافة الإسلاميَّة عام (١٩٢٤م)، حيث فرض على النساء نزع الحجاب، واستخدم قوته وسلطته في تنفيذ ذلك بالحديد والنار.

٩- رغبة بعض المسلمين في التفلُّت مِن تعاليم الإسلام وقِيَمِهِ، والانبهار بالحضارة الغربيَّة الزائفة، والتقليد الأعمى لأعداء الإسلام في مأكلهم ومشربهم وملبسهم(١).

ثالثًا : مظاهر وصور دعوة تحرير المرأة في العالم الإسلامي.

هناك عدَّة مظاهر وصور لدعوة تحرير المرأة في العالم الإسلامي، منها ما يأتي :

١- تحرير المرأة مِن كُلِّ الآداب والشرائع والأخلاق الإسلاميَّة.

٢- الدَّعوة إلى السُّفور والقضاء على الحجاب الإسلامي.

٣- الدَّعوة إلى اختلاط الرجال مع النساء في كُلِّ المجالات؛ في المدارس، والجامعات، والمؤسسات الحكوميَّة، والأسواق، والشركات ... إلخ.

٤- تقييد الطلاق، والاكتفاء بزوجةٍ واحدةٍ.

٥- المساواة في الميراث مع الرَّجل.

٦- الدَّعوة إلى العلمانيَّة اللادِينيَّة الغربيَّة؛ بحيث لا يتحكَّم الدِّين في مجال الحياة الاجتماعيَّة الخاصَّة بالمرأة.

٧- تقليد المرأة الغربيَّة في كُلِّ أمرٍ يخصها وخصوصًا ملابسها، واعتبارها القدوة

---

(١) انظر : «قضيَّة تحرير المرأة في الغرب، أصولها الفلسفيَّة، وآثارها على العالم الإسلامي» لإيمان العسيري (ص٣٣٥-٣٥٠).

للنساء، ونشر ثقافتها مِن خلال الجمعيَّات والاتحادات النسائيَّة في العالم الإسلامي(١).

رابعًا : نقد دعوة تحرير المرأة في العالم الإسلامي في ضوء الإسلام.

إنَّ دعوة تحرير المرأة دعوةٌ فاجرةٌ كاذبةٌ تهدف إلى تغريب المرأة المسلمة، وتحريرها مِن الآداب الإسلاميَّة والأحكام الشرعيَّة الخاصَّة بها، وجعلها سلعةً رخيصةً مستباحةً، ولا ريب أنَّ الإسلام قد صان المرأة عن الابتذال والامتهان وعن العُري والسُّفور، وعن الخلوة مع الرَّجل الأجنبي حفاظًا على كرامتها وصيانةً لها، فالله ﷻ أمر المرأة بالحجاب فقال : ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [سورة الأحزاب:٥٣]، وقال ﷻ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [سورة الأحزاب:٥٩]، وقال ﷻ : ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة النور:٣١]، فهذه آياتٌ كريماتٌ توجب الحجاب على المرأة المسلمة صيانةً وحفظًا لها مِن عبث العابثين، وإفساد المفسدين، فالله ﷻ قد صان المرأة وسترها، وجعلها دُرَّةً مصونةً محفوظةً لا يستبيح كشف سترها إلَّا زوجها الذي أحلَّها الله ﷻ له وأحلَّه لها، وحرَّم ظهور المرأة على الرجال الأجانب بزينتها صيانةً لها وحفاظًا عليها، كما حرَّم عليها الاختلاط مع الرجال الأجانب، وهذا كله يدل على صيانة المرأة في الإسلام والمحافظة عليها، عكس ما كانت عليه الجاهليَّة القديمة والحديثة مِن إهمال شأن المرأة، وتركها ساعيةً بين الرجال، وهذا يدل على اهتمام الإسلام بشأن المرأة ومكانتها، وأنَّ لها مكانةٌ عظيمةٌ ومرموقةٌ ومحترمةٌ، فلها مكانها في المسجد، ولها مكانها

---

(١) انظر : «الموسوعة الميسَّرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» (١/٤٥٥).

في المجتمع، ولها مكانها في البيت، ولها حقها في الميراث، ولها حقها في البيع والشراء والتملُّك، فتمتلك ما أحلَّه الله ﷻ لها، هذه هي مكانة المرأة في الإسلام.

أمَّا المرأة في المدنيَّة المعاصرة فقد أفرطت في حق المرأة، وأخرجتها مِن مكانتها، فهي اليوم تنادي بأن تخرج مِن بيتها الذي جعله الله ﷻ لها سكنًا تعمل فيه، تنادي بأن تخرج المرأة مِن بيتها مع الرجال إلى ميدان العمل سواءً بسواءٍ، لا فَرْقَ بين الرجل والمرأة في المكتب، لا فَرْقَ بين الرَّجل والمرأة في المتجر، لا فَرْقَ بين الرَّجل والمرأة في أيِّ مكانٍ، فسلبت هذه المدنيَّة الزائفة حقوق المرأة ومكانتها الخاصَّة بها، وحمَّلتها ما لا تُطيق، وأرهقتها إرهاقًا شديدًا، وأفسدتها إفسادًا عظيمًا، وخرَّبت بيتها وأُسرتها، وأهملت تربية أبنائها، وذهبت بحيائها وعفَّتها وكرامتها، وهكذا أصبحت المرأة في الغرب تتألَّم وتتضجَّر مما هي فيه، بل ربما أدَّى بكثيرٍ منهن إلى الانتحار لتخرج - بزعمها - مِن هذه الورطة التي وقعت فيها، وهذا هو ما يريده شياطين الجن والإنس، وهذا هو وضع المرأة إذا غيَّرت مكانتها اللائقة بها(١).

(١) انظر : «مكانة المرأة في الإسلام» للشيخ صالح الفوزان (ص٢٠-٣٣).

تم بحمد الله